قافلة الزيت

جمادى الاولى ١٣٨٤
سبتمبر - اكتوبر ١٩٦٤



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

لفيف من ضيوف ارامكو اثناء زيارة مرافق معمل التكرير في رأس تنورة.

القافلة تسير

في الأدب الفرنسي

في حديث عن الآداب الغربية تطرقنا الى الادب الفرنسي بالذات . وكان رأيي ان الأدب الفرنسي يكون ممتعا في لغته ، ولكنه حين يترجم الى الانجليزية يفقد كثيرا من رونقه ويتضاءل بجانب الادب الانجليزي بل حتى بجانب الأدب الروسي القديم . ولقد ألقيت هذا الرأي على قارئة مثقفة تجيد الفرنسية اجادة تامة ، لأن محصولي من هذه اللغة أضأل من ان يسعفني بجرعة ماء في يوم قائظ . وسألت القارئة المثقفة ان كان هذا الرأي صحيحا . فقد قرأت لاميل زولا وفلوبير وبلزاك وموليير وفولتير وجي دي موباسان ، قرأت لهؤلاء في اللغة الانجليزية ، واعجبت ببعضهم ولم اعجب بالآخرين . فقد اعجبت بفولتير ، وجي دي موباسان بنوع خاص ويليهما موليير في مسرحياته .

ترى ما سبب هذا التفاوت في الاعجاب ، وهل يعني هذا تفاوت هؤلاء الكتاب في درجات الاجادة والاتقان ؟ لا استطيع أن اذهب هذا المذهب ، فربما قال قائل ان الآخرين ابدع وأكثر اجادة من هؤلاء الذين استأثروا باعجابي ، خاصة اذا كان هذا القائل من المطلعين على الأدب الفرنسي في لغته فشهادته ترجح ولا شك على شهادتي ، وما عساني ان اقول دفاعا عن رأيي تجاه من يملك القدرة على سرد الاسانيد مستقاة من مصادرها .

ولا بد ان نسلم مبدئيا ان اي ادب مترجم يفقد الكثير من اثره في الترجمة . ولكن الذي ألاحظه في الأدب الروسي القديم أنه يظل محتفظا بروعته وهو مترجم ، ولئن كان قد فقد جانبا منها فلا أخاله الا قسطا ضئيلا جدا كما ينبئني احساسي ، وربما كان هـذا نفسه شاهداً آخر على قوة الأدب الروسي .

قرأت (مـدام بوفاري) لفلوبير مترجمة الى الانجليزية . ولقد انعقد الاجماع – او كاد – على أنها من الروائع العالمية . وأذكر ان سومرست موم ابدى اعجابه بهذه الرواية ، ولا ادري هل قرأها في الاصل او مترجمة . ولكني لاحظت في هذه القصة وفي قصص لاميل زولا وغيرهما اهتماما كبيرا بالتفاصيل التي لا تمت بصلة قوية الى مجرى الرواية ولا الى فحواها . ولاحظت نفس الاتجاه عند بلزاك ، بل لاحظت ايضا انه يطيل الحوار ويفلسفه في غير ما حاجة ماسة الى ذلك . صحيح انك تجد ذلك في الأدب الروسي القديم ولكنك تجده مستقيمـا ومتماسكا ومنسجما ضمن أطار الرواية .

شيء آخر لاحظته في الأدب الفرنسي وهو تعدد اشخاص الرواية تعددا يضعك في تيه غامر ، وبعض هؤلاء الاشخاص دخلاء لا يشكلون شيئا كبيرا في قوام القصة .

فلما ابديت ملاحظتي هذه على القارئة المثقفة اجابتني اجابة فيها تعليل مقنع ، فقد قالت أن الفرنسيين شغفون بجرس الألفاظ ورونق الاسلوب اكثر من غيرهم . وان هذا السرد الذي يذهبون اليه أحيانا له حلاوته ورونقه في اللغة الفرنسية لانهما يعتبران من قوام الأدب الفرنسي . أقول اني اقتنعت بهذا التعليل لأني وجدته التعليل الوحيد الذي يبرر هذا الاتجـاه لدى القصصيين الفرنسيين الذين أمدوا الأدب الغربي بفيض زاخر من روائع القصص . والمشهور عن اللغة الفرنسية انها لغة جميلة ، لألفاظها طلاوة وفي نطقها جرس منغم . وخليق بأن يكون هذا عاملا ذا اثر في تقييم هذه اللغة لدى الذين يحسنونها . فان كان هذا صحيحا فقد فاتنا نحن الذين لا نحسن اللغة الفرنسية كنز لا نحمل مفتاحه السحري . وما دمنا نفقد هذا المفتاح ولا سبيل لنا الى امتلاكه فلا أقل من ان نجد العزاء في الادب الانجليزي – ومنه الامريكي بطبيعة الحال – ففيه متسع لكل من أراد ان ينعم بمطالعة لا يعترضها السرد ولا التفاصيل المقحمة .

وبعد فهذه خاطرة طارئة لن تزعج اولئك الاعلام من كتـاب فرنسا وهم في أجداثهم . وربما سخروا من هذا الذي يحاول تقييم آثارهم وهو لا يحسن قراءتها الا مترجمة الى لغة اخرى .

سيف الدين عاشور

قافلة الزيت

العدد الخامس

المجلد الثاني عشر

تصدر شهريا عن: شركة الزيت العربية الأمريكية

مديرها ورئيس تحريرها

سيف الدين عاشور

أعلام مغمورون من الكتاب

بقلم الاستاذ انور الجندي

في خلال اليقظة الفكرية التي عمت العالم العربي منذ اواخر القرن الماضي ، برزت اسماء لامعة كان لصوتها دوي ، ومن خلال الاحداث السياسية والاجتماعية ، برز كتاب اعلام لفتوا الانظار بشدة ، واستمر تأثيرهم وقتا طويلا ، وشغلوا الناس عن طريق الصحافة والاندية حتى غطوا على كثيرين غيرهم ، ممن لا يقلون عنهم شأنا وحجبوا من ورائهم عشرات من النوابغ الذين لم تتح لهم فرصة التبريز عن طريق الصحافة او السياسة او في مجالات الظهور التي فرضتها الشهرة اكثر مما فرضتها قيمة الاعمال الفكرية نفسها .

وربما ظهر كتاب من الكتب ، يحمل رأيا مغايرا لما تعارف عليه الناس في الادب او الاجتماع او الفكر ، فأثار ضجة ، وجرت من حولـه المساجلات والمعارك الادبية ، فاذا مؤلفه مشهور بارز له اسم لامع مدو ، وربما كتب كاتب في الصحف مقالات نارية عنيفة في الحملة على خصومه في الرأي ، اصطنع فيها اساليب الهجاء وعباراته وكلمات السخرية والتهكم ، فاذا اسمه يأخذ مكانا واضحا في مجال الشهرة والتبريز ، وهذا ما لم يكن متاحا لكل كاتب ، فربما كان الكاتب علما في فنه ، اصيلا في مادته ، قد اطلع الفكر العربي على آراء جيدة ، وفكر عبقري ، ولكنه لم يجر في هذا الطريق ، ولم يتح له هذا السبيل فاذا هو لم يبلغ مكانه من الشهرة ولم يصل الى مجاله من التبريز ، واذا هو بعد سنوات قليلة منكور الاثر مغمور القدر .

ولست اجد كاتبا بلغ هذا القدر من سعة الكتابة وامتدادهـا على السنوات مثل (محمد لطفي جمعة) فقد ظل يوالي الكتابة في الصحف منذ ما عاد من اوربا سنة ١٩٠٨ حتى توفي عام ١٩٥٣ ، وقد ترك محصولا ضخما من الدراسات والمقالات المنثورة ومترجمات الكتب وملخصاتها وكثيرا من المؤلفات يربي عددها على انتاج الكثيرين .

ومثله في هذا المجال (حسن الشريف) الذي قدم مجموعة رائعة من زوايا التاريخ الاوربي والفرنسي بالذات في ادق وقائعه وقضاياه .

ومن ابرز الكتاب الذين قدموا انتاجا ضخما في مجال الفكر والقانون والادب السياسي (احمد وفيق) .

وفي هذا المجال نجد (عبد السلام ذهني) وكتاباته في مجال فلسفة الاجتماع والدكتور يوسف نحاس في مجالات الاقتصاد وسيد قطب في ميادين النقد الادبي واسماعيل احمد ادهم في باب التراجم والسير ...

ولا اعتقد ان الاجيال الجديدة تذكر اسماء اعلام قدموا موسوعات ضخمة في التاريخ والادب امثال (احمد تيمور) الذي اغنى المكتبة العربية بطائفة من المؤلفات الاحيائية التي بعث بها النصوص الضائعة في خلال المجلدات القديمة في الموسيقى واللغة والفلك والآثار . ولولا عكوف لجنة نشر المؤلفات التيمورية على نشر تراثه لبقي مطمورا مغمورا .

و (احمد كمال) العالم الاثري الذي عرب هذا العلم وحمل لواء تحقيق الصلة بين الفرعونية والعروبة ، وبلغ الغاية في تأكيد الروابط بين الهيروغليفية والعربية في موسوعة بلغت ٢٥ مجلدا فضلا عن مؤلفات متعددة عن التاريخ القديم .

و (توفيق اسكاروس) البحاثة المؤرخ الذي كتب مئات من الفصول بالعربية والانكليزية في التحقيقات التاريخية القديمة ، و (جرجس فلتاؤوس عوض) صنوه وقريعه في هذا المجال ، و (عوض جندي) الذي كانت له يد طولى في ترجمة مسائل العلم .

ومن المغمورين الآن : رجل علم مثل (محمد فريد وجدي) الذي قدم للأمة العربية «دائرة معارف القرن العشرين» ، في عشر مجلدات ، وعشرات من الابحاث في عالم الدراسات الروحية وأثر الفكر العربي الاسلامي في الفكر الاوربي .

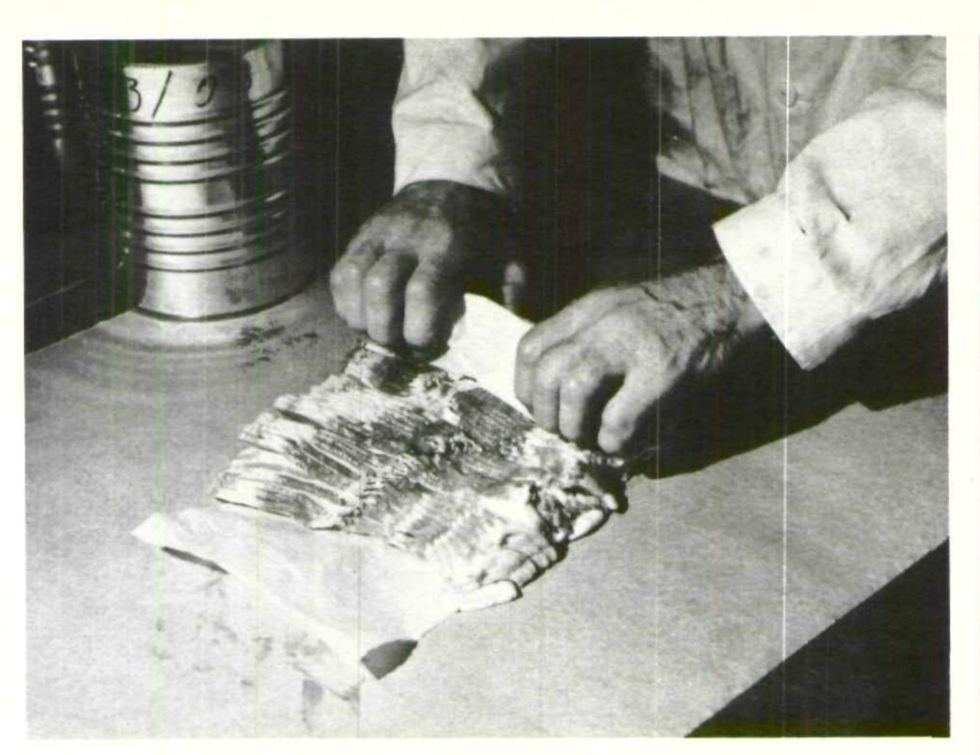
* * *

وفي مجال الصحافة نجـد (احمد فؤاد) صاحب الصاعقـة الذي هز المـلأ بمقالاته ، و (سيد علي) صاحب القلم الناري و (عبد الحميد حمدي) صاحب (السفور) التي كان من كتابها طه حسين وهيكل وعلي عبدالرازق ومنصور فهمي ولم يكونوا يومئذ على حظ مقدور

(البقية على الصفحة ٤٠)

حفظ المواد الغذائية بواسطة الاشعاع لراديومي

بقلم الدكتور نقولا شاهين



تحضير شرائح اللحم قبل تعريضها لأشعة «غاما» النافذة .

جاء في اقوال الاقدمين ان لا جديد تحت الشمس ، وظلت هذه العبارة تتردد على ألسنة الناس في شتى المناسبات ، نظرا لما يحدث من وقائع في حياة الانسان تتشابه في وجوه عديدة . لكن هذا القول بعيد عن الحقيقة في عالم الاشعاع وما تحقق فيه من اكتشافات رائعة ، كان لها الاثر الكبير في تقدم العمران في فترة قصيرة من الزمن . وقد بقي علم الاشعاع منحصرا في ما يشاهده الناس من اشعة الشمس ، الظاهر منها والخفي ، وكذلك فيما ينطلق من مواد فوسفورية بعد تعرضها لنور الشمس ، الى ان توصل العالم وليم رنتجن الى اكتشاف الاشعة السينية (X-rays) ، عام الف وثمانمائة وخمسة وتسعين (١٨٩٥) . ولا يخفى على احد ما ادته هذه الاشعة من خدمات في عالم الطب وخلافه ، نظرا لكونها تخترق المواد المختلفة بصورة متفاوتة .

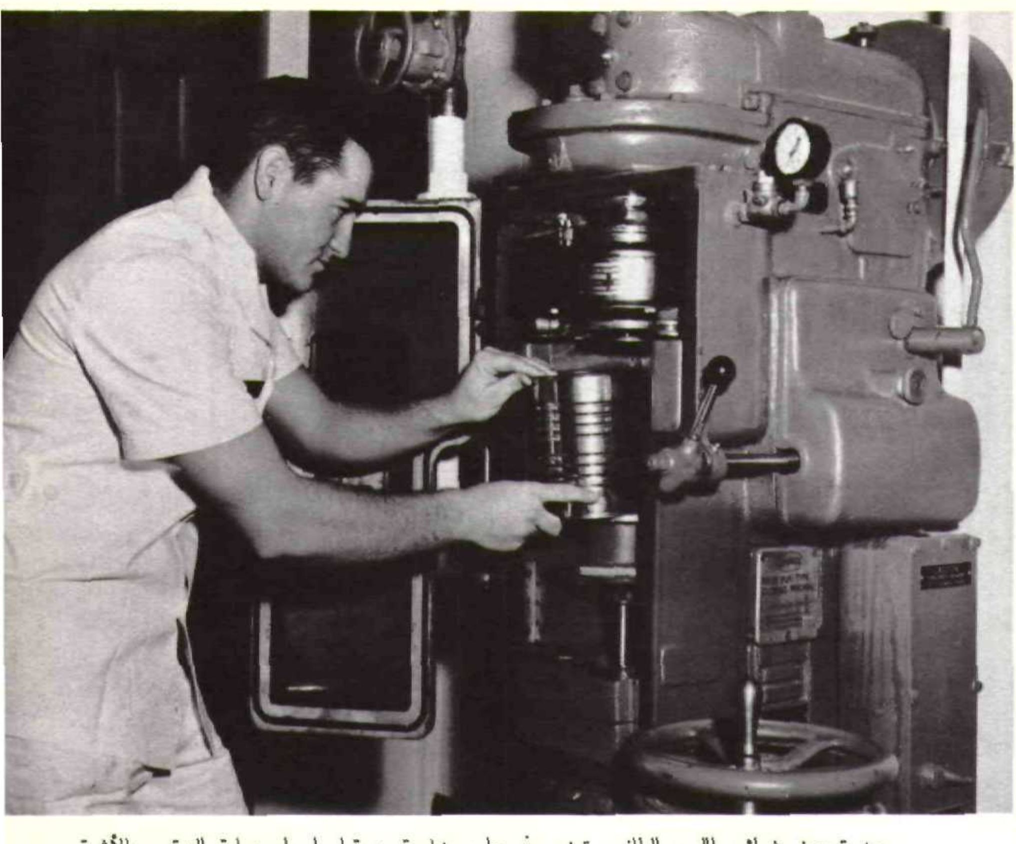
لم يمض على هذا الاكتشاف سوى ثلاث سنوات حتى كان اكتشاف الراديوم على يد مدام كوري وزوجها عام ١٨٩٨ ، وكان هذا مصدرا لثلاثة انواع من الاشعة ، هي اشعة «ألفا» وأشعة «بيتا» وأشعة «غاما» ، وهذه الالفاظ هي الاحرف الثلاثة الاولى من الهجائية اليونانية . اما دقيقة «ألفا» فانها مماثلة لنواة غاز الهيليوم ، وهي لا تنفذ من الورق ولا تخترق الاجسام . ودقيقة «بيتا» هي كالكهرب تماما ، وهي اكثر نفاذا من دقيقة «ألفا» بقليل ، لكنها لا تتمكن من اختراق صفيحة رقيقة من المعدن . وأشعة «غاما» ليست دقيقة بل هي طاقة مشعة صادرة عن الطاقة الزائدة في كتلة الذرة ، وهي شديدة القدرة على اختراق الاجسام ، فهي تتمكن من اختراق لوح من الرصاص سماكته نحو ٦ سنتيمترات ، او لوح من الحديد سماكته نحو اربعين سنتيمترا . علاوة عن هذا فان اشعة «غاما» تسير بسرعة الضوء .

هنا يبدأ عصر جديد في فتوحات تتعلق بتركيب الذرة ، تلك اللبنة التي تتألف منها الاجسام المختلفة . وهذه الفتوحات اثبتت ما كان قد بشّر به العالم

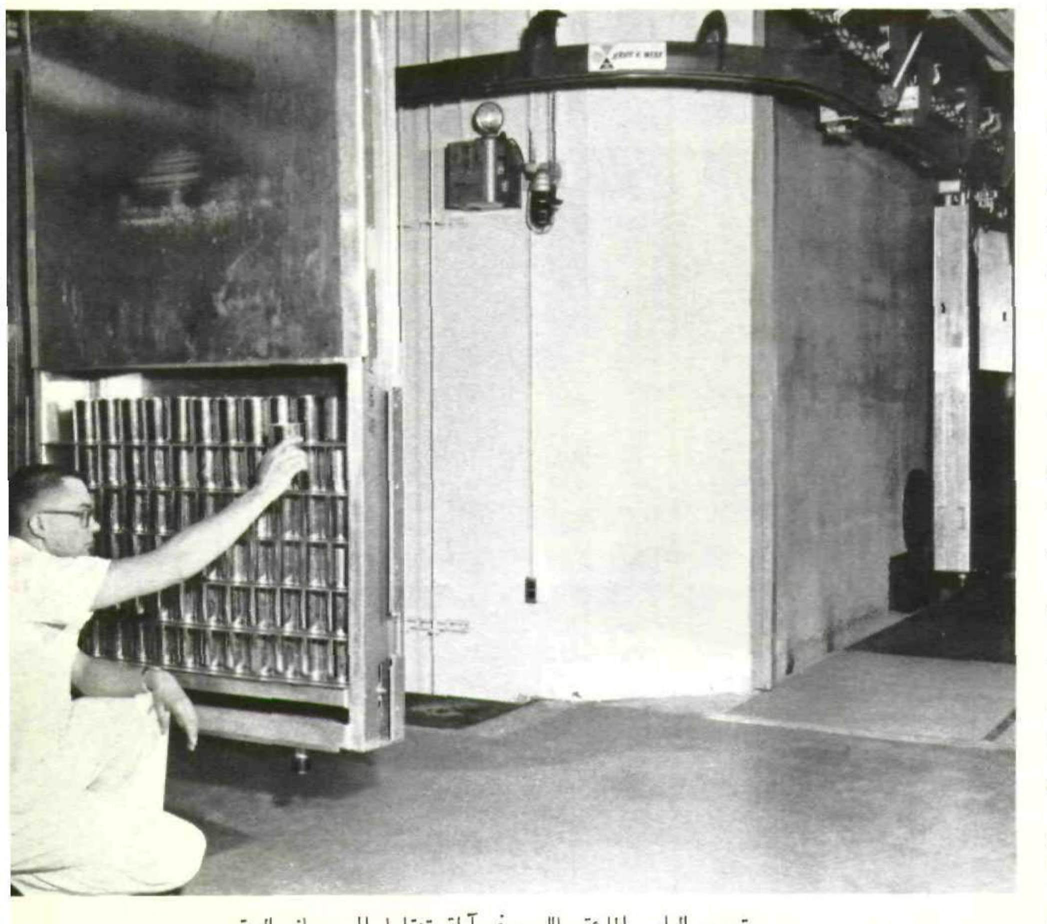
الاغريقي ديمقريطس في القرن الرابع قبل الميلاد ، مشيرا الى ان المادة تتألف من فضاء وعدد غير محدود من الجزيئات التي لا ترى ، وان هناك جزيئا نهائيا للمادة لا يمكنه ان يتجزأ وهو الذرة . اما الاشعة الراديومية فانها كانت الدليل على ان هناك في داخـــل المادة قوى مصدرها الذرة نفسها ، فمضى العلماء يفتشون عما يوجد في تلك الاعماق . كان الراديوم يطلق تلك الاشعة من ذاته ولم يكن بامكان العلماء ان يتحكموا بتلك العملية بأي شكل من الاشكال .

وتوسع العلماء بدرس خواص الراديوم فوجدوا انه يؤثر في الكائنات الحية ، وهذا يجعله بمقام اقوى السموم والعلاجات المعروفة . فهو يقتـــل الجراثيم ويشفي النوامي السرطانية السطحية . لكن تكاليف استخلاص الراديوم كانت باهظة للغاية اذ ان طنا من خام الاورانيوم يعطي (٠,٠٦٥) من الغرام من الراديوم ، وذلك بعد عناء شديد وعمل مستمر ، لتنقية هذا الطن من المواد المعروفة المختلفة . ونظرا لندرة الراديوم وغلاء ثمنه لم تتمكن سوى مستشفيات قليـــلة من الحصول عليـــه والمعالجة بواسطته . فالغرام الواحد من هذه المادة كان يباع بما يعادل نحو ٧٥ الف ريال سعودي .

ولا مجـــال هنا لسرد الاختبـــارات العديدة التي قام بها العلماء في حقل تحطيم الذرة ومعرفة ما تتألف منه . لقد ادت هذه الابحاث الى اطلاق الطاقة الذرية من عقالها كما حدث في القنابل الذرية ، كما وانها حققت تحويل عنصر الى عنصر آخر ، وتحويل بعض العناصر غير المشعة الى عناصر مشعّة تقوم مقام الراديوم في معالجة السرطان . وتم ذلك باطلاق قذائف ذرية على ذرات بعض العناصر فصار لنا عنصر جديد ، كما حصل عندما اطلق العالم رذرفورد لأول



بعد تجهيز شرائح اللحم الطازج توضع في علب خاصة ، قبل اجراء عملية التعقيم بالأشعة .



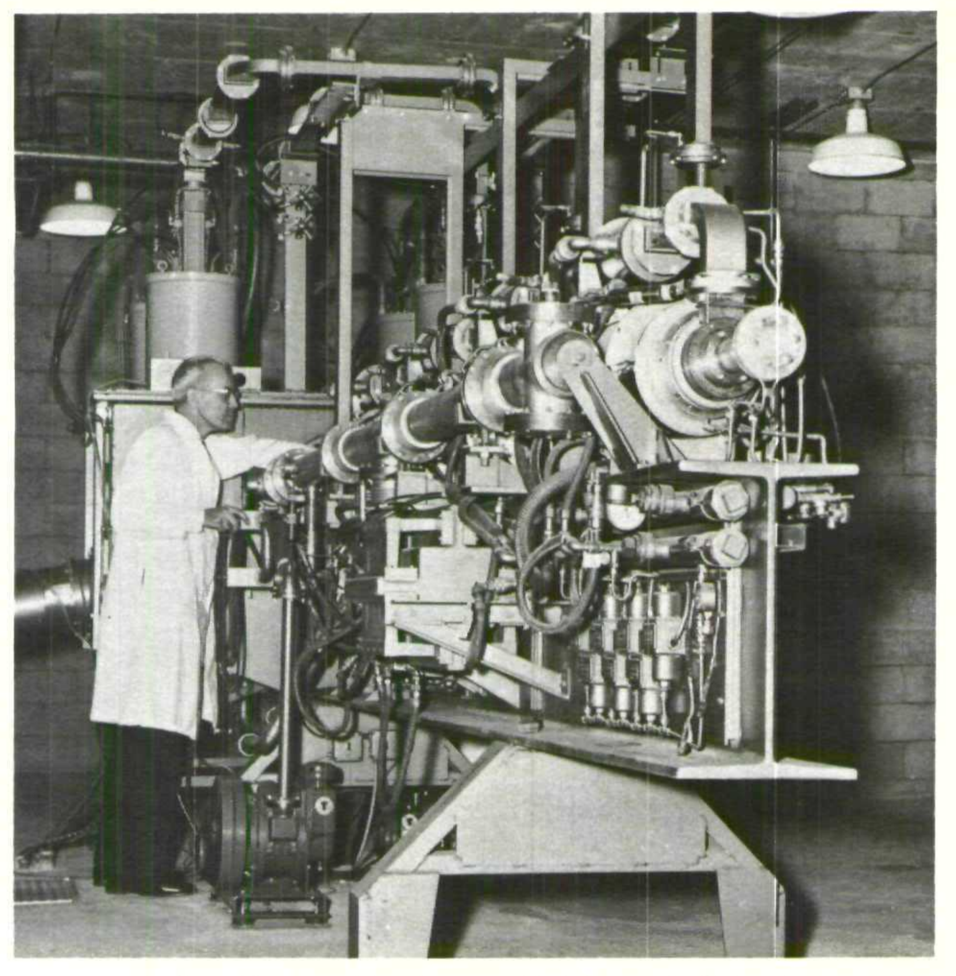
تجمع العلب المليئة باللحم في آلة تنقلها الى جهاز التعقيم .

مرة دقـائق «ألفا» على غاز النتروجين فكانت النتيجة غاز الاكسجين مع ذرة نتروجين .

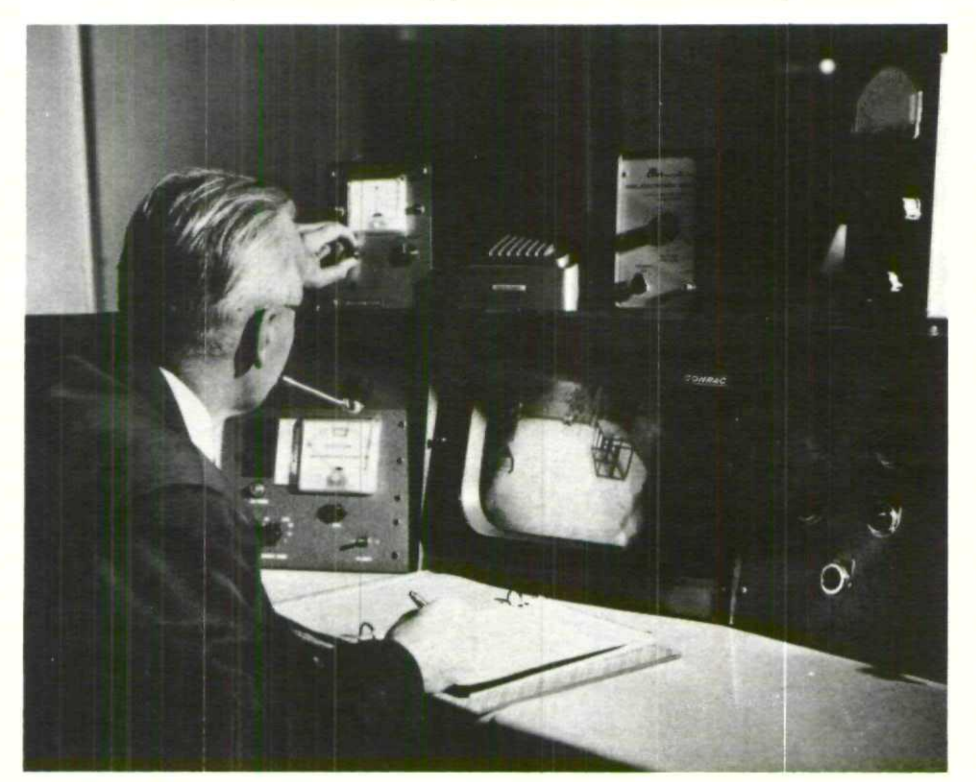
ولا شك بأن من اهم ما رافق فلق ذرة الاورانيوم والحصول على طاقة ذرية هائلة تلك الابحاث التي كانت نتيجتها نظائر لعناصر متعددة ، وهذه النظائر هي مصدر لاشعة «غاما» وقد حلّت محل الراديوم في المعالجات الطبية وغيرها نظرا لتكاليفها القليلة . فنظير اليود المشع ساعد على ابطاء نشاط الغدة الدرقية في امراض الغدة او امراض القلب ، فضلا عن معالجة بعض حالات السرطان في هذه الغدة ، وقياس كمية البلازما في الدم . ويقصد بالنظائر بصورة عامة تلك الذرات التي تحتل محلا واحدا في لائحة العناصر الاولية ، مهما اختلف ثقلها النوعي . فطالما هي ذرات من عنصر واحد طالما لهذه المشعات مفاعيل كيميائية واحدة ، وهذه المفاعيل هي اشبه ما تكون بتوأمين يستحيل تمييز احدهما عن الآخر .

ولم يقتصر استخدام النظائر المشعة على المعالجات الطبية والتطبيقات الصناعية العديدة وغيرها ، بل تعداها الى امر حيوي يتعلق بحفظ كيان البشر وضمان حاجتهم من المواد الغذائية . لقد ساعدت الثلاجات كثيرا في حفظ المواد الغذائية اثناء نقلها من بلد الى آخر ، لكن هذا لم يكن كافيا لتلبية ما تتطلبه هذه المواد في ظروف مختلفة . وقد اثبتت التجارب ان معظم انواع البكتريا التي توجد في اللحوم والسمك والخضار وغيرهـا من الاطعمة ، يمكن قتلها بواسطة النظائر المشعة . بذلك يمكن الاحتفاظ بالطعام الى اجـل غير محدود دون الاسـتعانة بالثلاجات .

لقد كان التقدم ملموسا في تعقيم المواد الغذائية وحفظها من التلف ، كان ذلك لاهداف زراعية او استهلاك عادي . ففي



مسارع للذرات قوته ١٨ كيلوواط يستخدم في عمليات حفظ الطعام بالأشعة .



هذا العالم يراقب عملية التعقيم بالاشعة النافذة باستخدام جهاز للتلفزيون .

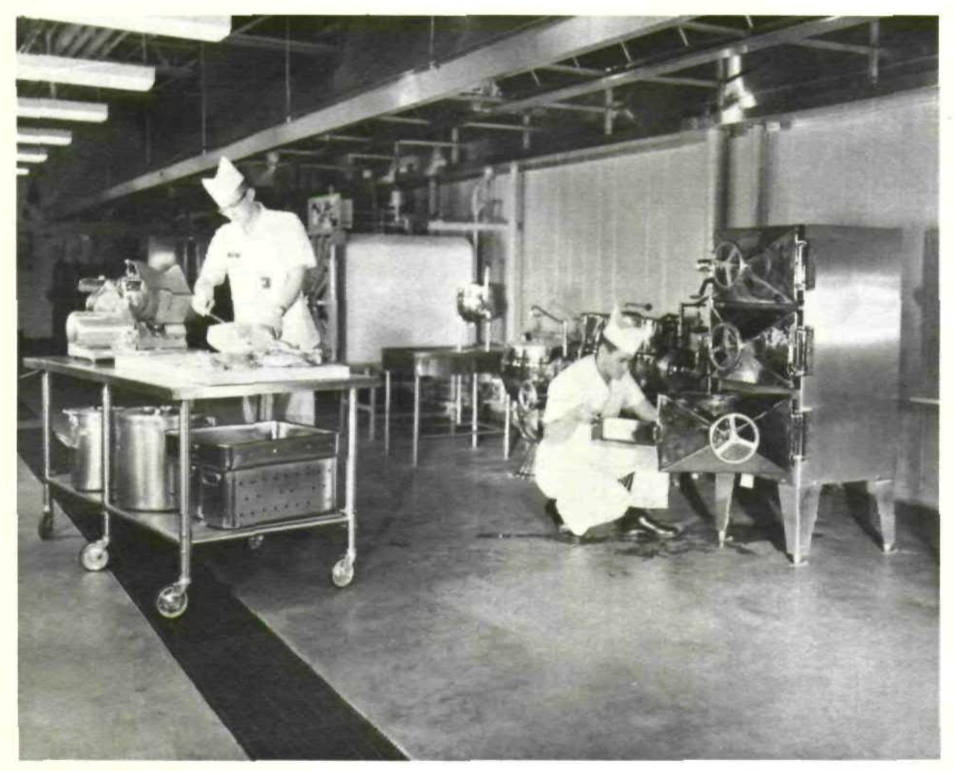
كندا وحدها جرى تعقيم نحو نصف مليون كيلوغرام من البطاطا للتحكم في تفريخ براعمها ، وظلّت صالحة للاكل دون تعرّض المستهلك للاشعاع الراديومي . وفي الاتحاد السوفياتي يعدون العدة لتعقيم ٢٥ طنا من البطاطا سنويا . وفي الولايات المتحدة الاميركية صارت الموافقة على اكل اللحوم واستعمال الادوية المعقمة بالاشعاع ، وذلك في شهر شباط (فبراير) ١٩٦٣ ، كما وان مختبرا تابعا للجيش قد تم انشاؤه عام ١٩٦٢ ، وذلك لدراسة فوائد تعقيم المواد الغذائية . وهذا المختبر يحتوي على اعظم مصدر للإشعاع الراديومي ، قوامه النظير كوبالت (٦٠) ، وقوته الراديومية ١,٣ مليون كوري .. والكوري هو وحدة قياس قوة الاشعاع الراديومية وهو مأخوذ من اسم مدام كوري مكتشفة الراديوم .

وهكذا اجريت تجارب متعددة على الحمضيات والدراقن والتفاح والعنب والكرز والبندورة ، فتبين ان طعم هذه الثمار يظل على طبيعته وكذلك فائدته الغذائية . فصار بامكان المزارعين ان يعولوا على اسواق بعيدة عن مزارعهم دون ان تتعرض بضاعتهم للتلف ، وهم بذلك يصبحون في غنى عن الثلاجات ومشاكلها . ولما كانت اللحوم والاسماك من بين المواد الغذائية الرئيسية ، فقد تم تصميم جهاز لمعالجتها ، وذلك في ولاية ماستشوست ، وبامكان هذا الجهاز ان يعقم خمسماية كيلوغرام من السمك في الساعة الواحدة . وقوام هذه الوحدة هو النظير كوبالت (٦٠) ، وينتظر ان تبدأ عملها في شهر تموز عام ١٩٦٤ .

وهكذا نرى ان هذه الاشعة ، اي اشعة «غاما» تتمكن من قتل الخلايا الحية ومن حفظها من التلف . وتدل الاحصاءات على ان النظائر المشعة وفّرت على الصناعيين والمستهلكين في اميركا نحو نصف بليون دولار عام ١٩٥٧ ، وكان من المنتظر ان يرتفع هذا الرقم الى خمسة بلايين دولار عام ١٩٦٢ . وهناك مئات من النظائر المشعة قيد الدرس لمعرفة مقدار فائدتها في الدراسات المختلفة . اما النظائر المشعة التي يعتمد عليها غالبا فهي كوبالت (٦٠) واريديوم (١٩٦٢) وسيزيوم (١٣٧) وعنصر الراديوم كما ذكرنا سابقا . والاجهزة التي تعتمد على هذه النظائر تمكننا من الاستعاضة عن الاشعة السينية ، اذ ان ثمن الواحد منها يتراوح بين ألفين وخمسة عشر ألف دولار ، بينما تبلغ نفقات جهاز الاشعة السينية مائة ألف دولار .

ولقد بحث المسؤولون عن وسائل مختلفة لحفظ المواد الغذائية عندما تتوفر بكثرة في بعض السنين ، فاتجهت انظارهم نحو المنطقة المتجمدة الشمالية وكذلك الجنوبية ليجعلوها مخازن لحفظ القمح وثلاجات للحوم والاسماك . لكن النظائر المشعة ستضمن للانسان كل وسيلة لازمة لحفظ المواد الغذائية ، وذلك بشكل يحمي المستهلك من ضرر اشعة «غاما» القتالة . وتقوم التجارب في مئات المؤسسات العلمية لضبط مقدار الاشعاع اللازم كي تحتفظ الفواكه والخضار بلونها وطعمها . كذلك ينتظر ان تؤدي هذه الابحاث الى معرفة تأثير هذه المواد المعقمة بالاشعاع على عملية التناسل في عالم الحيوان .

وجدير بالذكر ان لبنان في الوقت الحاضر ، لديه في اثنتين من جامعاته وفي مستشفيات اخرى ، كمية من النظائر المشعة تستخدم في الابحاث العلمية ، ومن هذه قنابل الكوبالت (٦٠) . ولا شك بأن دول العالم العربي ستهتم في المستقبل القريب لامتلاك افران ذرية تجهز المستشفيات بالنظائر المشعة اللازمة ، وربما ادى ذلك الى تعقيم بعض المواد الغذائية وحفظ الادوية القابلة للتلف .



وبعد اجراء التجارب المختبرية تؤخذ اللحوم المعقمة الى هذا «المطبخ» وهو جزء من المختبرات التابعة للجيش الامريكي .

في ذكرى شكسبير

بقلم الاستاذ عزت محمد ابراهيم

ملأ الدنيا وشغل الناس .

عبارة قيلت في شاعر عربي منذ مئات السنين ، وأصبحت تقال في كل من ذاع صيته ، واستفاضت شهرته ، وهي أصلح ما تكون لأن تقال في شكسبير ، فهو قد ملأ الدنيا حقا ، وشغل الناس حقا .

وهو لم يملأ دنيا الأدب ، ويشغل اناسها فحسب كما كان أمر شاعرنا العربي وانما ملأ دنيا اكثر الناس ، بما شاهدوا له من تمثيليات ، وبما أتاحوا لأنفسهم من متع التسلية بها .

والحديث عن شكسبير واسع المدى ، متعدد الاطراف . فالذين يدرسون في الجامعات يعرفونه في دراساتهم ، فيتناولونه من اعماله بالنقد والتحليل ، ثم بنقد النقد وتحليل التحليل ، لا تفتر لهم همة ولا تضعف لهم غاية ، ينظرون فيما يقال من انه لم يكتب بعض مسرحياته ، وانما كتبها غيره من المعاصرين له ، ثم يجهدون انفسهم في رد ذلك كله الى نصابه الصحيح ، وغايته السليمة .

والذين يشاهدون تمثيلياته على المسرح ، لا ينفكون يتحدثون عن عظمة الشاعر ، وروعة شعره ، وما أتى به من ضروب الفهم الواسع للنفس البشرية ، والسبر العميق لأبعد أغوارها .

ومما يذكر للسياسي الانجليزي ونستون تشرشل قوله : «ان بريطانيا لو خيرت بين امبراطوريتها وبين شكسبير لاختارت شكسبير» . وهو قول غير منتظر من سياسي ، ولكنه قول منتظر من رجل دقيق الفهم ، بعيد النظر .

فالامبراطوريات زائلة مهما طال عليها الزمان ، ولكن التراث الانساني يبقى ما بقي العالم .

وهكذا ذهبت الامبراطورية البريطانية ، وبقي ذكر شكسبير يحتفل به وطنه ، وتحتفل به معه جميع الاوطان ، حتى اوطان اولئك الذين يكنون له العداء ، ويظهرون له الكراهية والبغضاء .

وما ذاك الا لأن التراث الانساني ملك للانسانية جمعاء ، وليس ملكا لوطن واحد ، او شعب واحد . والتراث الانساني يتلقفه الجيل ليزيد فيه ويضيف عليه ، كما تتلقفه الشعوب تزيد فيه وتضيف عليه ليظل أبدا في نمو وازدهار . ثم لا يقال بعد ذلك ان هذا كله ملك لأمة واحدة او شعب واحد لأنه أشمل واعمق من ان يقال فيه مثل ذلك المقال .

وقد اعتز الانجليز بشاعرهم كل الاعتزاز ، وحسبك مثلين لذلك أحدهما أن تعرف ان الشاعر كان قد غرس في بيته شجرة توت ظل يرعاها اولاده من بعده زمانا طويلا حتى اذا ما عدى عليها عادي الأيام وماتت ، قطع الناس اخشابها واحتفظوا بها كأثر من آثار شاعرهم الذي يجلونه ويعتبرونه وينظرون اليه بعين التقدير والاحترام . والآخر ان تعرف ان عدد الكتب المتعلقة بشكسبير في مكتبة «كوخ آن هاثوي» في ستراتفورد ، مسقط رأسه ، قد بلغ نحو عشرة آلاف كتاب ، منذ اربعين عاما ، فماذا تراها قد بلغ عددها في هذه البلدة اليوم ، وماذا تراها قد بلغت في مكتبات العالم أجمع !

واختلف الناس في امر شكسبير ومسرحياته اختلافا بعيدا ، منهم من رفعه الى الذروة التي لا ذروة بعدها ، ومنهم من هوى به الى الحضيض الساحق ، فأنكر ان يكون له نبوغ او عبقرية وهو ذاك الذي تربى في الكوخ ، وعاش في الفقر . ولم يتلق العلم في معهد او جامعة ، كأنما كل نابغي الحضارات قد تلقوا العلم في المعاهد . اجل ان شكسبير الذي نشأ في الكوخ ، ودرج في الحضيض ، اتى عفو الخاطر ، بما يقطع العلم اليوم المراحل العديدة لاثباته ، فيرى دارسو العلوم الجنائية في بعض مسرحياته خلاصة ما وصل اليه علمهم في العصر الحديث ، ففي مسرحية ماكبث الذي يقف ماكبث فيها ويداه ملوثتان بالدماء بعد قتله الملك دنكان ، ويناجي نفسه بأن جميع ما في الأرض من غيث وبحار لا يكفي لتطهير يده من دم جريمته ، وفي ذلك ملاءمة لما يذهب اليه العلم الجنائي اليوم من ان الجاني في غمرة الفزع والرهبة مما اقترفت يداه لا يتمكن من اخفاء آثار جريمته او سترها .

اما مجال علم النفس في مسرحيات شكسبير فهو الاوسع مدى ، وهو المضمار البعيد لدارس هذا النوع من الدرس يصولون فيه ويجولون كما صالوا وجالوا في درس علاقة علم النفس بالمسرحيات اليونانية القديمة : اوديب والكترا ، حتى سميت باسمها بعض نظريات هذا العلم الحديث .

هذا الى ما تضمه مسرحياته من النماذج العديدة للشخصيات المتباينة التي منها الجبان ، والشجاع ، والأمير ، والحقير ، والمعوج النفس ، والقويم الخلق ، وهي كلها نماذج صالحة لدرس النفس البشرية ، وممارسة تمارين التحليل النفسي كما عرفها هذا العالم ، بعد شكسبير ، ببضع مئات من السنين .

وأول من ذهب مذهب نسبة آثار شكسبير الى غيره فألحقها بفرنسيس بيكون هو هربرت لورنس ثم اتبع هذا المذهب ، بعد نصف قرن من الزمان ، تابعون يؤيدونه ويلتمسون الأدلة لمؤازرته ، ثم يقف جيرالد ماساي على الطرف الآخر من النقيض ، فيرى أن بيكون هو الذي تأثر بعبقرية شكسبير فتناثرت افكار شكسبير في تضاعيف مؤلفات بيكون .

ويرى انصار شكسبير ان تشابه عبارته وعبارة بيكون لا يقل عن التشابه بينها وبين مقالات مونتاني المترجمة عن الفرنسية ، ومعنى ذلك انكار اصالة مونتاني ومن معه ، لتنسب كل اصالة الى فرنسيس بيكون دون سواه ، وليس ذلك بمعقول ولا مقبول .

وبيكون عند فريق لورنس جدير بذلك لأنه «انبغ من أنجبت الأمم» ولأن في المسرحيات المنسوبة

الى شكسبير – في رأيهم – آراء في الفلسفة والقانون يقصر عنها عقل من لم يدرسها ولم يتبحر فيها ممن هم على شاكلة شكسبير ، ولأن في هذه المسرحيات ابيات من الشعر تدل على ارستقراطية في النزعة واحتقار للطبقات الدنيا من الشعب ، لا تتأتى الا لمن كان ارستقراطي النزعة كبيكون .

وهي كلها اسباب لا يمكن ان تنهض دليلا على نسبة المسرحيات الى بيكون دون شكسبير لأنه ليس من الضروري في «أنبغ من انجبتهم الأمم» ان يكتب الشعر ، ويقدم المسرحيات ، ولا سيما اذا اضفنا الى ذلك انه لم يؤثر عن بيكون ميل الى المسرح او شغف به ، في الوقت الذي عرف فيه شكسبير بعشقه للمسرح والتمثيل .

ولأن ما في المسرحيات من فلسفة وقانون كان يجري على ألسنة الناس في زمانه ، كما تجري الحكم والأمثال على ألسنة الشعراء – الذين لم يتلقوا علما ، ولم يشهدوا درسا ، ولم يحضروا حلقة تعليم – في كل عصر وأوان ، ولا ينفي كل ذلك عنهم انشادهم الشعر في هذا الباب .

وقد أنصف المفكر الانجليزي توماس كارليل شكسبير مع من انصفهم من بني قومه ، فصوره مع دانتي بصورة البطل في كتابه «الأبطال» ، ودفع عنه ما ألصق به من تهم ، ورفع مكانته الى أقصى ما استطاع من الشرف الرفيع ، فهو عنده شبيه بهوميروس ، وستظل اعماله ، مع دانتي ، بعد آلاف السنين ، معرضا لأوروبا ، كما اصبحت اعمال هوميروس معرضا لليونان القديمة ومرآة لحضارتها ومدنيتها . وهو عنده ذاك الذي ينسي من حجارة التاريخ المتراكم بعضها فوق بعض في فساد واختلاط ، ذلك الصرح الهائل المتين البنيان ايضا ، ولم لا ، ألم يقل القائد مالبرا انه لم يعرف من تاريخ بريطانيا الا ما عرفه عن شكسبير ، وقد يكون في مثل هذا القول نقيصة للقائد ، ولكنها مجد لشكسبير لا مراء .

ولم يفت كارليل تهمة نسبة اعمال شكسبير الى بيكون ، فحاول دحضها وان عاب محاولته العزوف عن النقاش العلمي الموضوعي ، والخروج بها الى الحماس الدافق لشكسبير الذي يظهر في مثل قوله :

«ما كان لذهن بيكون ان يقاس بذهن ذلك الشاعر ، فان الاول على كماله وعظمته من طينة ارضية وضيعة اذا قيست الى ذهن هذا الشاعر الاكبر» .

وقد كان كارليل ثاقب الفكر بعيد النظر ، حين اختار شكسبير على امبراطورية الهند ، التي تنبأ بزوالها في وقت كانت ترى فيه الامبراطورية البريطانية وكأنها أقوى من عاديات الزمان ، في عبارته التي يقول فيها :

«انا اعلم ان رجال السياسة والحكومة يفضلون الهند ، ولكننا نحن لنا الحق ايضا في ان نختار ما نراه أفضل ، فنقول سواء علينا أحكمنا الهند ام لم نحكمها ، فلا غنى لنا عن شكسبير ، فستذهب الهند يوما ما ويبقى شكسبير» . وهكذا كان ، فقد ذهبت الهند ، وبقي شكسبير .

وشكسبير عند كارليل ملك الانجليز غير المتوج او الملك الأكبر الذي يبسط نفوذه على جميع طوائف الانجليز في جميع الارجاء والأنحاء .

ولعله لم يشارك شكسبير في هذا اللقب سوى فولتير الذي قيل فيه انه ملك فرنسا غير المتوج ، وثمة علاقة تربط بين الرجلين ، اذ لم يسلم الأول من سلاطة لسان الثاني وسخريته المرة المشهورة ، فحمل عليه حملة نكراء ، ولكنه أفاده من حيث اراد ان يهون من شأنه ويحط من قدره ، فقد اشاع ذكره في دول اوربا ، ولفت الانظار الى الاهتمام به والعناية بتمثيلياته وشعره .

واعود الى مسرحيات شكسبير فأقول ان شخوصه العديدة التي احياها الممثلون على مسارح العالم كل هذا الزمان الطويل ، جديرة بأن يفرض لها الدرس الخاص ، والاهتمام الزائد ، كأنها من شخوص الحياة التي تروح وتجيء بيننا ، ولا يعيب شكسبير انه استعار بعضها من بين شخصيات التاريخ .

ومن منا شاهد هاملت على المسرح ، او رآه بين سطور كتاب ، ثم فارقه شخصه او غاب عن عينيه رسمه في زمن قريب او بعيد ، وحال هاملت كحال شيلوك وعطيل وغيرهما ، كلها شخوص تكاد تضطرب بالحياة ، وكأنها ما زالت تسعى بين الناس ، تؤدي بينهم دورها الذي كانت تؤديه في الماضي .

وفي مسرحيات شكسبير نماذج عديدة من الفكاهة المحببة ، والسخرية اللاذعة ، والتهكم الذي يقسو احيانا ويلين احيانا ، واغلب الظن انها جميعا كانت صورة لحياته هو نفسه التي كان فيها يمثل ذلك الميل والنزوع . ومما يروى عنه انه بينما كان زميله الممثل ريتشارد بربج يقوم بتمثيل دور ريتشارد الثالث ، كان بين النظارة سيدة شابة فتنت به وواعدته على لقاء يتخذ فيه اسمه في المسرحية «ريتشارد الثالث» ، فسبقه شكسبير الى هذا اللقاء ، ولما جاء بعد ذلك من ينبىء السيدة الفاتنة بقدوم ريتشارد الثالث ، رد عليه شكسبير قائلا : «قل له ان وليم الفاتح قد وصل قبل ريتشارد الثالث» .

ولا يخطىء قارىء القصة ما فيها من فكاهة وسخرية ، وان كان لا يخطىء ايضا ما فيها من انتهازية تحسب على شكسبير ضمن ما يحسب عليه من اخطاء وهفوات في سيرة حياته .

ولمسرحيات شكسبير روافد عديدة من الأدب العربي استمد منها مادته واعانته على بناء بعض صرح فنه منها ما ضمنته مسرحيته ماكبث من فكرة الغابة المتحركة التي قيل ان فيها شبها كبيرا من قصة زرقاء اليمامة المعروفة في القصص العربي .

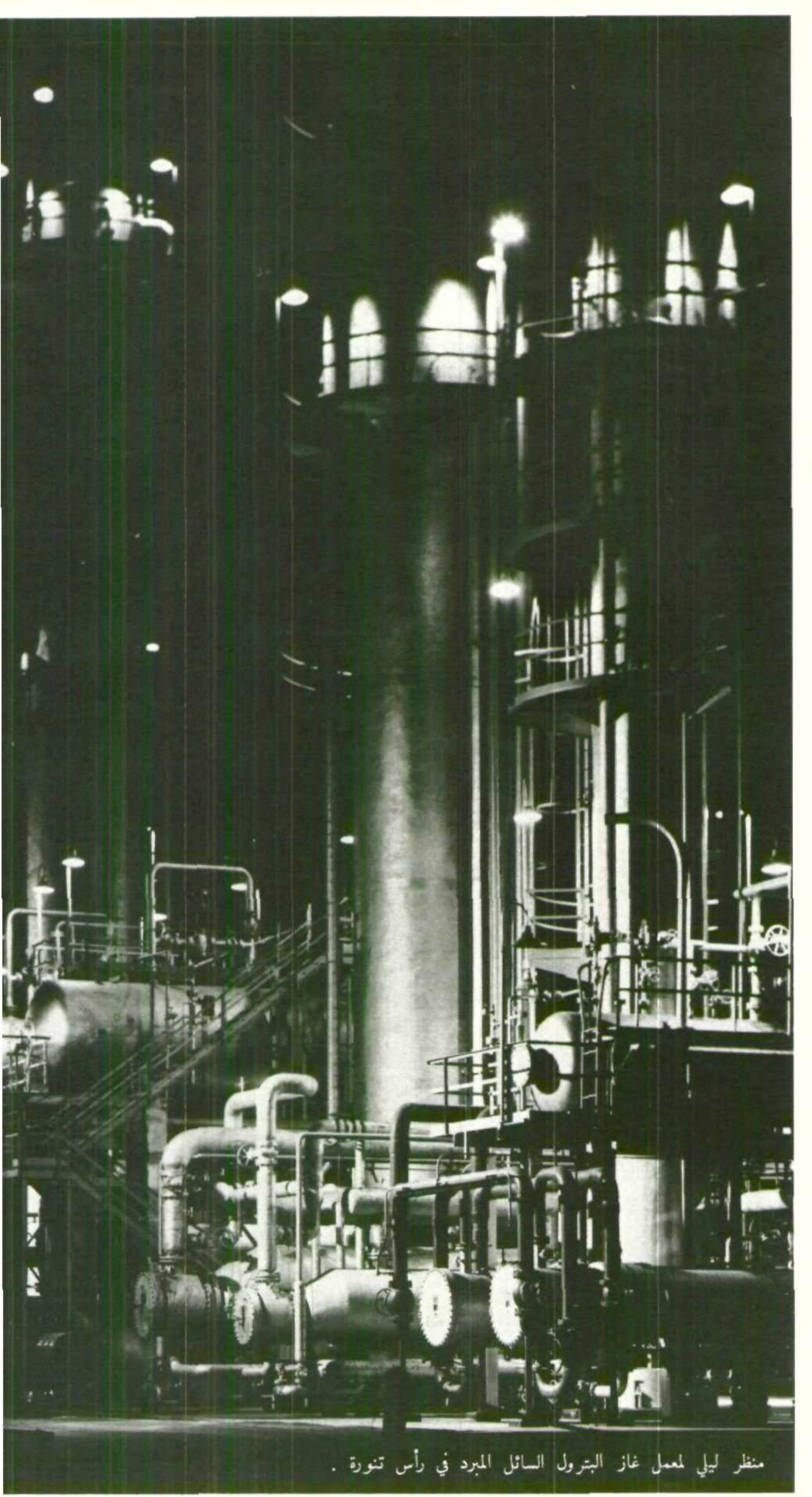
وشأن شكسبير في ذلك شأن موليير يستمد مادة فنه حيثما وجدها ولا تثريب عليه في ذلك ، وقد تأثر بالقصص الشعبي العربي الذي وصل الى اوربا ، عبر الحروب الصليبية او غيرها . لقد تأثر بها كما تأثر غيره بالأدب العربي والشرقي ، فجيته مثلا ، نهل من معين الادب الفارسي ، كما لا يزال الكثيرون من كتاب الغرب يهيمون حبا بقصة الف ليلة وليلة ، ويستمدون منها روائع لأدبهم وفنهم . ولا يزال الكثيرون من كتاب الغرب ايضا ، يتأثرون بعمر الخيام ، وينسجون على منواله . وما زلنا نحن نستمد مسرحياتنا الناجحة من التراث اليوناني ، وصنيع توفيق الحكيم في ذلك معروف في مسرحيتيه «اوديب ملكا» و «بجماليون» وغيرهما .

ولا موجب – في رأيي – للتمادي في ذلك النحو من البحث الذي يذهب فيه بعض الباحثين الى محاولة الكشف عن الملامح العربية ليس في مسرحيات شكسبير فحسب بل في ملامح وجهه وسماته ايضا كأنه لا يكفيهم ما يكتنف تاريخه من غموض وابهام ، فيريدون ان يزيدوه غموضا على غموض ويضيفوا اليه ابهاما على ابهام ، بهذا الزعم المعجوج الذي يحسبون انهم واجدون به لشكسبير نسبا عربيا ومحتدا قحطانيا .

ومن اسف ان ارى في هذا الغرض محاولات لاساتذة جامعيين ، لا تزيد على كونها عبثا صبيانيا يذكر على سبيل التفكه والمزاح ، ولا سيما عندما نقول ان اسم شكسبير ليس الا تحريفا لاسم «الشيخ زبير» . ولا احب ان اسمي ذلك الا هراء في هراء .

وبعد : فشكسبير الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، قد ملأ دنيا العرب وشغل ناسهم ، لا فيما سبق ان ذكرت فحسب ، بل في محاولة الادارة الثقافية للجامعة العربية نقل مسرحياته كاملة الى اللغة العربية ايضا . فقد ثار في ذلك نقاش ، واحتدم جدل ، ورأى البعض تفضيل نقل العلم على نقل تلك المسرحيات وحجتهم في ذلك ان الكثير منها قد سبق وترجم ، وان حاجتنا الى العلم اعظم من حاجتنا الى الادب والفن .

وقد حمل لواء التأييد في هذا السبيل الدكتور طه حسين المستشار الثقافي للجامعة ، وقد اتيح لرأيه ان ينتصر ، وان لم يتح لمشروعه النجاح المرجو ، فلا يزال حتى الآن يتعثر في سيره ، ولم يقطع منه سوى نصف الطريق المرسوم له . اقاله الله من عثرته ، وهيأ لقراء العربية – ممن لا يحسنون غيرها – الاستمتاع بالتراث الشكسبيري الرائع استمتاعا كاملا غير منقوص .


منظر ليلي لمعمل غاز البترول السائل المبرد في رأس تنورة .

هذا الغاز العجيب

بقلم هومر ديكسون
ترجمة عصام العماد

عند مدة غير بعيدة قامت ناقلة يابانية برحلة تعتبر الاولى من نوعها . فعلى ألوف الاميال من موطنها كانت الناقلة تعبأ في فرضة ما ، بمادة غير مألوفة للكثير من مناطق العالم . اما الناقلة فهي «**غوشو مارو**» وأما المادة فهي **غاز البترول السائل** وأما الفرضة فهي **فرضة رأس تنورة** على الخليج العربي حيث تعبأ الناقلات التي تأتي الى هنا لنقل الزيت ومشتقاته مما تنتجه شركة الزيت العربية الامريكية .

في ذلك اليوم كان العمل يجري امام الناظر العادي وكأنه عمل روتيني . ولكنه كان يجري حسب خطة مرسومة بدقة تامة . ولقد كانت تلك الشحنة الاولى بالنسبة لمهندسي ارامكو تعني نجاح البحث

الطويل الذي دام اكثر من عشر سنوات وصرفت عليه اموال طائلة ، لايجاد حلقة الارتباط بين تلك التجمعات الكامنة في حقول الزيت في المملكة العربية السعودية وبين المصانع وأدوات الاستهلاك الاخرى في اليابان . وهذه الوسيلة هي غاز البترول السائل .

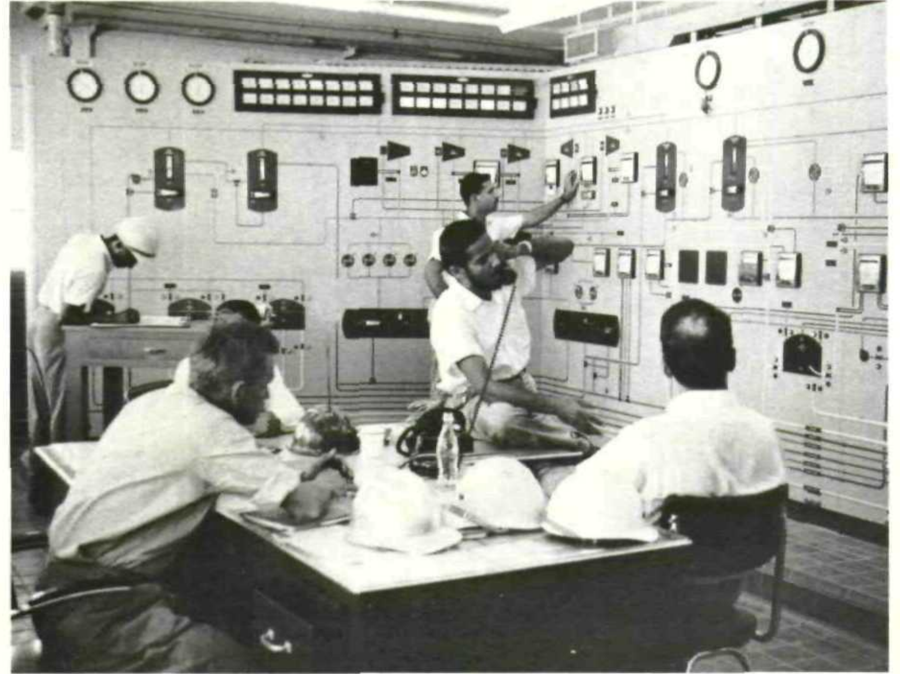
ويشيع استعمال الغاز اليوم ، في معظم دول العالم المتقدمة ، شيوع الهواء النقي . فهو يستعمل في المنازل والمصانع ، كما يصل الى اقصى المناطق النائية مثبتا صلاحيته كوقود رئيسي يتحدى الخشب والفحم الحجري بل يتغلب عليهما .

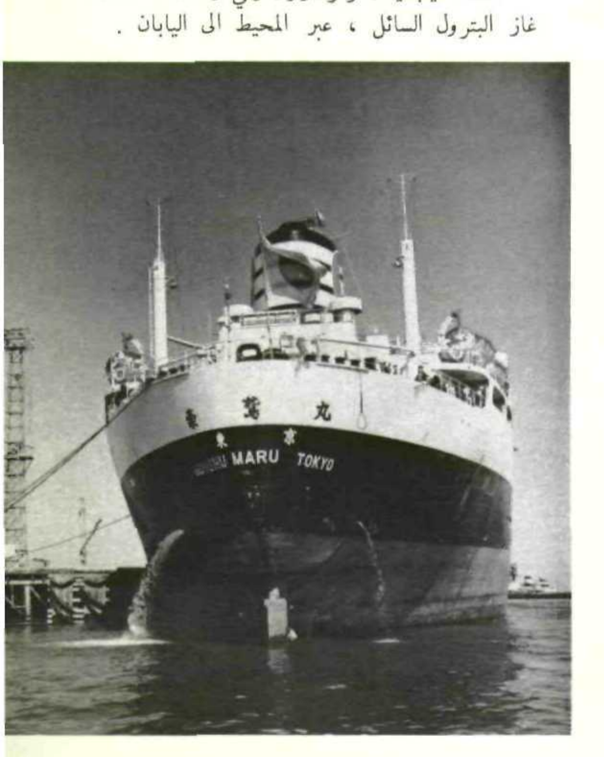
ومع هذا ، ومنذ امد غير بعيد ، لم يكن الغاز متوفرا في كثير من هذه البلدان . ويرجع السبب في ذلك الى عدم التمكن من بناء جسر طويل يوصل بين مناطق انتاج الغاز ومناطق استهلاكه فهناك مسافة شاسعة برية وبحرية مثلا تفصل بين اليابان ، البلد الصناعي المزدحم بالسكان ، والذي هو بحاجة ماسة الى الوقود ، وبين المملكة العربية السعودية ، البلد الغني الذي يملك من هذا الوقود الشيء الكثير .

وكانت السفن وسيلة النقل المنطقية الفضلى بدون شك . الا انه لعشر سنوات خلت ، اي حينما ركزت الشركات الصناعية كشركة الزيت العربية الامريكية ، جهودها لايجاد حل للأزمة ، كانت تعترض الشحن عدة عقبات كؤود . وأولى هذه العقبات هي صنع الوعاء الذي يستطيع تحمل الضغط العالي الذي يتطلبه الغاز ليبقى في حالة سيلان ، وهو على درجة حرارة عادية ، كان باهظ التكاليف . وعلاوة على ذلك ، يجب ان تكون جدران مثل هذه الاوعية سميكة جدا لدرجة تجعل من الضروري توفر سفن ضخمة خاصة لنقلها . وبما ان شحن غاز البترول السائل ، على درجة حرارة عادية ، امر غير اقتصادي ، فقد حدا هذا بالمهندسين الى التفكير في ايجاد حل آخر للمشكلة . ترى ، هل يكون الحل موفقا بتبريد الغاز وتكثيفه ، ومن ثم حفظه مبردا حتى يصل الغاية المقصودة ، حيث يعاد الى وضعه الغازي الطبيعي ؟

لقد كانت حسنات هذه الطريقة واضحة . فالسفينة التي تحمل ١٠٠ ٠٠٠ برميل من غاز البترول في شكله المكثف ، هي في الواقع تحمل ١٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ قدم مكعب من الغاز . وهذه الكمية كافية لتأمين ٣٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ وحدة حرارية بريطانية ، اي ما يعادل تقريبا الطاقة المختزنة في ١٢ ٠٠٠ طن من الفحم الحجري . هذا وان شحنة من غاز البترول السائل المبرد ، لا تتطلب الا جزءا من تكاليف شحنة مماثلة تشحن على درجة حرارة عادية ، وتحت ضغط مرتفع .

بيد انه قامت صعوبات بين الفكرة وتحقيقها ، فقد كان على زبائن ارامكو — الشركات الاخرى — اولا دراسة طاقة الاسواق العالمية وتحديد ثمن المنتوج ومواصفاته . وتشمل هذه المواصفات


غرفة المراقبة في معمل غاز البترول السائل حيث يبدو العمال منهمكين في اعمالهم .



الناقلة اليابانية «غوشومارو» وهي اول ناقلة حملت غاز البترول السائل ، عبر المحيط الى اليابان .

معلومات واسعة عن الانتاج ، والتصنيع والنقل ، يقرر على ضوئها ما اذا كان ، شحن غاز البترول السائل المبرد ، عبر المحيطات ، امرا اقتصاديا يمكن تطبيقه . بينما جـابه المهندسون مشكلة تطوير مختلف وسائل التصنيع — مع مراعاة الاثمان — بحيث يمكن استعمالها في عملية تحويل الغاز الخام المتوفر في المملكة العربية السعودية ، الى غاز يفي بالمواصفات المطلوبة . كما كان عليهم ان يضعوا في حسابهم تقدير المشاكل المتعلقة بتبريد الغاز وتكثيفه وخزنه ونقله .

وكان على الشركات المالكة بدورها ، دراسة مشاكل الشحن في الناقلات عبر المحيطات ، ومشاكل الخزن والتوزيع في المناطق التي يباع الغاز فيها .

وما ان بوشر بالمشروع ، حتى قرر المهندسـون تركيز دراساتهم على غازي البوتان والبروبان اللذين هما جزء من الغاز المتوفر ، وذلك دفعا للمشاكل المتوقعة من الجزء الآخر من هذا الغاز كالإيثان والميثان مثلا .

ومن الضروري ، لتكثيف الغاز تمهيدا لشحنه على درجة حرارة عادية ، عبر المحيط ، تخفيض درجة الحرارة . وكلما كان الغاز اخف وزنا ، كلما احتاج الى درجة حرارة ادنى لتكثيفه . فالبوتان مثلا يحتاج الى ٣١° ف تحت الصفر ، والبروبان الى ٤٤° ف تحت الصفر ، بينما يحتاج الايثان الى ١٢٨° ف تحت الصفر والميثان الى ٢٥٩° ف تحت الصفر . وقد تبين انه كلما انخفضت درجة الحرارة كلما ازداد عدد المشاكل الفنية المتعلقة بتبريد الغاز ونقله . وهكذا فان تناول غازي البترول السائلين البوتان والبروبان اسهل نسبيا من تناول الايثان والميثان . بيد ان تناول البوتان والبروبان لا يضع حـدا للمشاكل الفنية المختلفة ، مثل مشكلة صنع معادن قوية خاصة تتحمل انخفاض درجة الحرارة الى ٥٠ تحت الصفر .

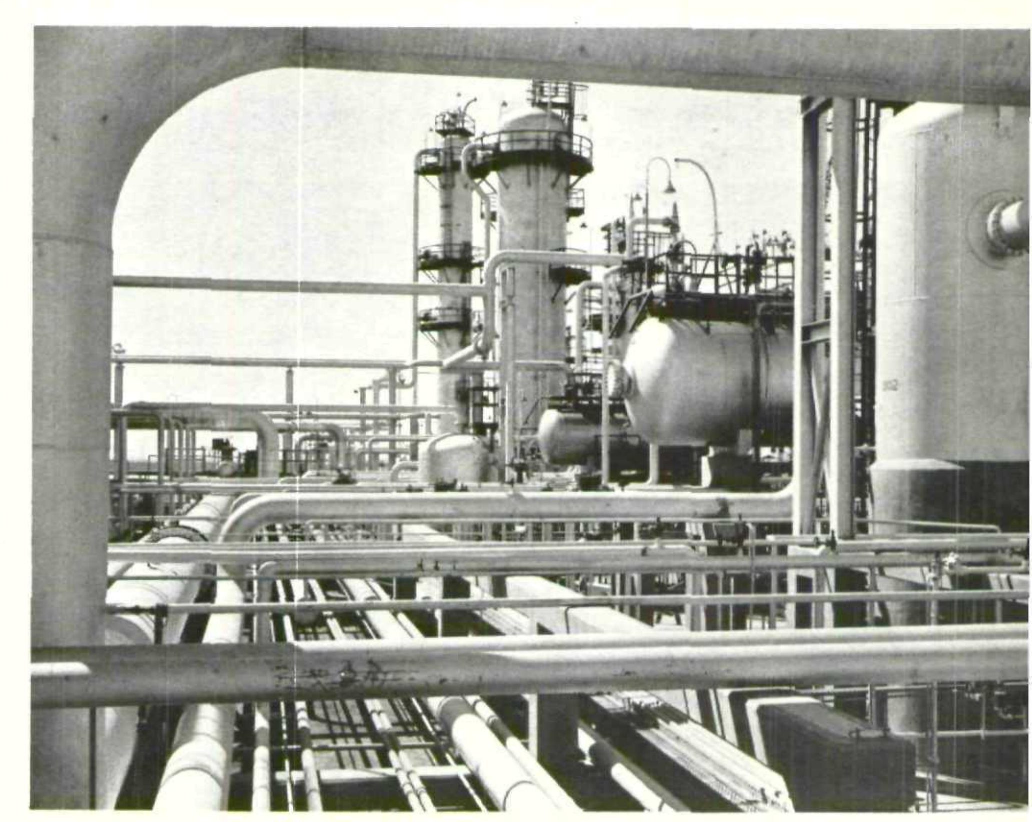
ولقد كانت مهمة المهندسين اختيـار الحديد الصلب المناسب الصالح لبناء الخزانات والانابيب التي سيجري فيها تصنيع الغاز ونقله وخزنه وشحنه ، واضعين نصب اعينهم دائما حادثتين لهما دلالة على مدى خطورة مشروعهم :

ففي ١٦ يونيه عام ١٩٤٣ ، بينما كانت الناقلة الجديدة الصنع ، «سكانا كتادي» ترسو فارغة في مياه مرفأ بوسطن ، اذ بها تنشطر فجأة الى شطرين . ولدى تحري اجزاء الناقلة ، تبين انها مبنية من حديد صلب موافق عليـه ، ومصممة تصميما جيدا ، ومبنية بطريقة مرضية . كما تبين انه لم يكن للعوامل الخارجية تأثير في الحادث .

وفي العشرين من اكتوبر عام ١٩٤٤ ، انفجر في كليفلند خزان فيه غاز ميثان مبرد الى ٢٦٠° ف تحت الصفر . وبدأ الحادث ، حسبما ورد في تقرير الجمعية الامريكية لفحص المعادن ، بدوي تلاه حريق فانفجار . وبعد مضي ٢٠ دقيقة فقط انشطر خزان غاز مجاور ، فانتشر الغاز السائل في مجاري المنازل المجاورة ، مسببا حريقا رائعا ذهب بحياة ١٢٨ شخصا وسبب خسائر قـدرت بحوالي ٧ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار . وقد تبين للمحققين بأن الحادث في الخزان الثاني لم يسبقه انفجار .

وقد اتضح ان سبب الحـادثين هو «التصدع» اي قابليـة المعـدن للانهيار على درجة حرارة منخفضة جدا . وتفيد الدراسات ان حوالي ٣٠٠ سفينة تعرضت للتصدع في الحرب العالمية الثانية ، كما وقعت عدة حوادث اخرى لعدد من السفن والخـزانات والانابيب والجسـور وغيرها ، ظهر منها ان التصدع هو سبب انهيار المعادن فيها .

وقد علم المهندسون القائمون على دراسة مشروع غاز البترول السائل ، ان وقوع



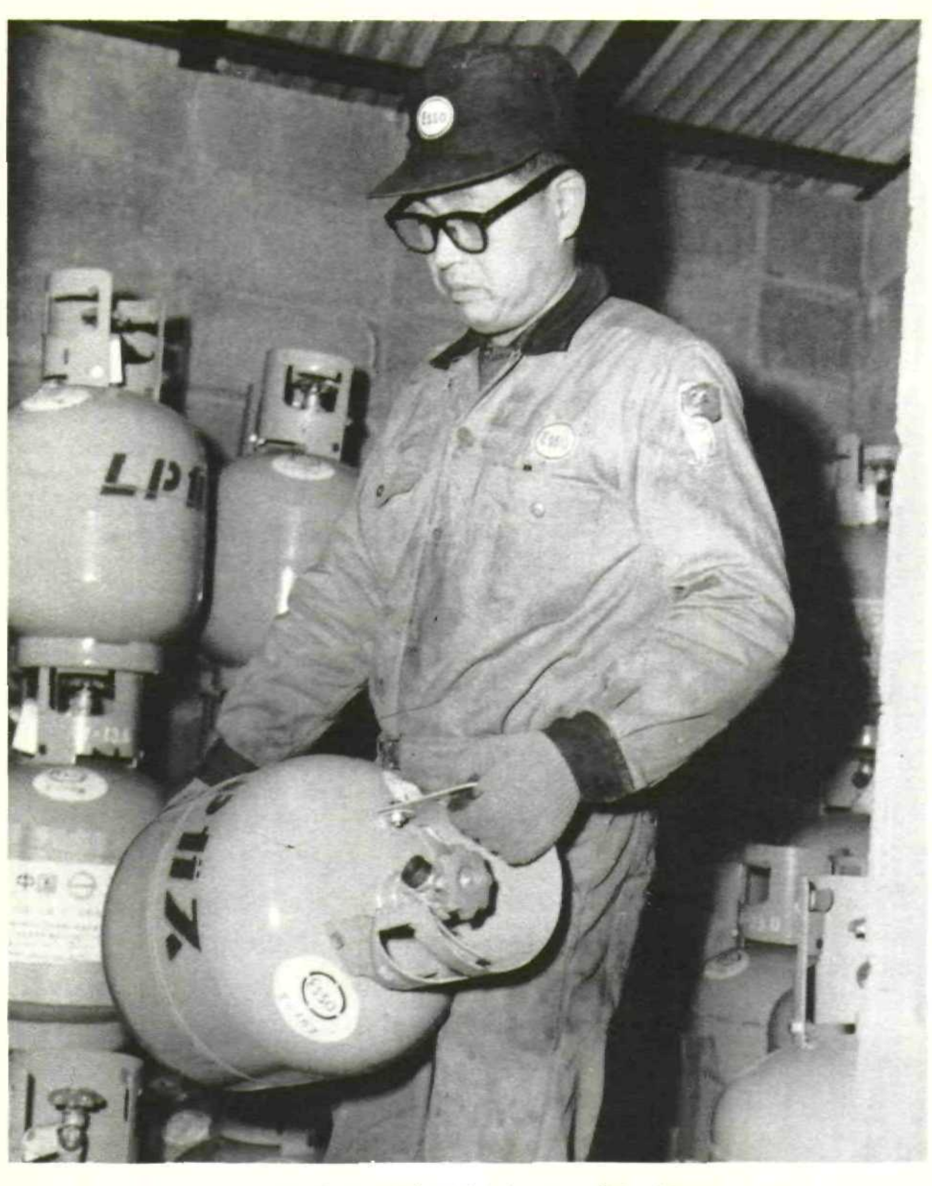
مرافق استخلاص غازي البوتان والبروبان في بقيق ، وهي جزء من معمل غاز البترول السائل .

حادث من هذا النوع في معمل كمعمل ارامكو لتكرير الزيت في رأس تنورة ، او في الفرضة البحرية ، حيث تبنى معظم مرافق معمل غاز البترول السائل ، يعني وقوع كارثة عظيمة . كما علموا ايضا ان عليهم ان يأخذوا العامل الاقتصادي بعين الاعتبار . فلو بنيت مثلا خزانات الغاز المبردة والانابيب ، من خليط النيــكل والحديد الصلب ، لاستطاعوا ان يمنعوا حدوث «التصدع» المذكور . وان يكونوا آمنين بلا شك ، الا ان التكاليف ستكون مضاعفة . اذا فقد كان على المهندسين ايجاد معدن سليم على ان يكون اقتصاديا في الوقت نفسه .

وبدأ المهندسون وعلماء المعادن ابحاثهم ودراساتهم متأملـين كل قضية فشلت ، كما لو كانوا محامين . فدرسوا اكثر من ٣٠٠ حادث من هذا النوع ، ثم اتخذوا نتائج دراستهم اساسا لتجاربهم التي اجروها على عينات صنعت خصيصا من الفولاذ الكربوني . وقد دلّت الدراسة على ان تصميم المعدن في نطاق ضغط قوته ١٥ رطلا على كل قدم ، وعلى درجة الحرارة المبتغاة ، يضمن درجة السلامة المتوخاة ، الا ان ارامكو زيادة في الاحتياط قررت ان يكون الحد الادنى للضغط ٢٠ رطلا على كل قدم .

وهكذا تم التوصل من خـــلال هذه التجارب الى المعدن المطلوب وهو حديد صلب ذو كربون منخفض ومنغنيز مرتفع ، وذو مرونة كافية لمقاومة «التصدع» ، وفي الوقت نفسه اقتصادي يمكن استعماله للاغراض العـديدة المختلفـة كبنـاء الخزانات ، وخطوط الانابيب ، والسفن ، ومبدلات الحرارة التي روعي تركيبها في معمل التكرير في رأس تنورة .

ومثل هذا العمل الاول الارتيادي ، والاعمال الاخرى المتعلقـة بمواد عزل الحـــرارة ، ووسائل التحميــل وتصاميم



عامل ياباني يوزع اسطوانات الغاز على الزبائن .

الناقلات ، كل هذا استهلك آلاف الساعات من الدراسة والتجارب ، قبل المباشرة بالتطبيق والبناء .

في عام ١٩٥٩ ، اي بعد مرور ست سنوات من الدراســة المتواصلة ، بوشر بالمشروع ، وتم القرار على بناء معمل لغاز البترول السائل ، في معمل التكرير ، في رأس تنورة . وكانت الخطط المبدئيــة تهدف الى بنــاء مرافق في رأس تنورة ، طاقة انتاجها ٢٠٠٠ برميل من البوتان ، و ١٥٠٠ برميل من البروبان في اليوم . على ان «يجفف» هذان الغازان المستخرجان من الزيت الخام ، منعــا لتجمدهما اثناء تبريدهما فيما بعد ، ثم يضخان بعدئذ مسافة سبعة اميال الى منطقة فرضة ارامكو البحرية حيث يجري بناء الثلاجات ومعدات التبريد الاخرى .

وحتى بعــد المباشرة بالبنــاء ، لقي الاختصاصيون مشــاكل بسيطة مستمرة تمكنوا من التغلب عليها في حينها واتمام المشروع .

وفي السادس من شهر ديسمبر عام ١٩٦١ تم شحن ٥٠٠٠٠ برميل من غازي البوتان والبروبان ، السائلين ، الى اليابان ، وهي الشحنة التجارية الكبيرة الاولى من نوعها .

وفي هذا اليوم بالذات ، سجلت ارامكو اوليتين اخريين في حقل صناعة الزيت ، الاولى هي ان معمل ارامكو لغاز البترول السائل ، في رأس تنورة ، هو اول مؤسسة جرى تصميمها وبناؤها خصيصا لانتاج غازي البروبان والبوتان المبردين وشحنهما في الناقلات ، والثانية ان الناقلة اليابانية «غوشو مارو» التي حملت الغاز المبرد الى اليابان ، هي اول سفينة صممت وصنعت خصيصا لنقل غاز البترول السائل المبرد .

وعندما انطلقت هذه الناقلة التي يبلغ وزن حمولتها الكلية ٤٦٠٠٠ طن ، من المرسى السادس في الرصيف الشمالي من فرضة رأس تنورة البحرية ، كانت تقل في خزاناتها الخمسة المبطنة بالمواد العازلة ، ٣٠٠٠٠ برميل من البروبان ، و ٢٠٠٠٠ برميل من البوتان المبردين ليصار الى استهلاكهما في اليابان كوقود منزلية وصناعية ، وكمادة خام للعمليات البتروكيميائية .

وقبل نجاح اول شحنة بمدة شهرين تقريبا وافقت الادارة العامة في ارامكو على توسيع مرافق غاز البترول السائل المبرد — من طاقتها الحالية ٣٥٠٠ برميل من البوتان والبروبان في اليوم الى ١٢٠٠٠ برميل في اليوم .

وبما ان هذا التوسع يتطلب المزيد من كميات الغاز ، لذلك كان على الشركة التوجه مسافة سبعين ميلا ، على اليابسة ، الى مركز انتاج الزيت في بقيق ، حيث يجري فرز كميات كبيرة من الغاز الصاعد مع الزيت الخام ، ليصار الى استعماله في اوجه عديدة .

وجرى في بقيق تصميم المرافق الضرورية لاستخلاص غازي البوتان والبروبان من الشوائب والغازات الاخرى ، ومن ثم ارسالها عبر خط خاص الى رأس تنورة . وتضم المرافق عمودين مجزئين (يجري فيهما فصل الغازات) — احدهما يبلغ ارتفاعه سبع طبقات (ويجري فيه ازالة الايثان والغازات الخفيفة الاخرى) وقطره ١١ قدما وسمك جدرانه بوصتان وثلث البوصة ، ووزنه ١٥٠ طنا .

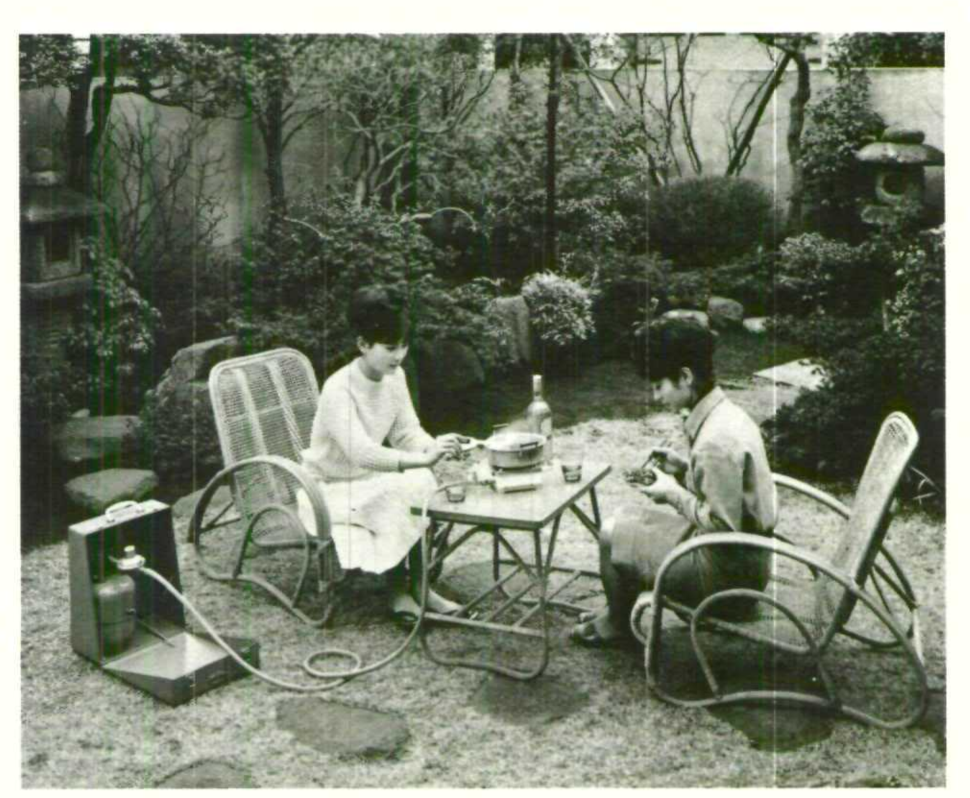
اما الغازات المتبقية بعد نزع البوتان والبروبان ، ثقيلة كانت ام خفيفة ، فتحقن في مكامن الزيت المجاورة ، للمحافظة على مستوى الضغط فيها .

وقد شمل المشروع توسيعا آخر في معمل التكرير نفسه في رأس تنورة وهو اضافة وحدات جديدة لتصنيع غاز البترول السائل وتشمل هذه الوحدات مرافق معالجة لنزع كبريتيد الهيدروجين ، وباقي المركبات الهيدروجينية الكبريتية ، ومزيل للبروبان ، ومزيل للايسوبوتان علوه ١٢ طبقة ، ومزيل للبوتان ، وآلة تنشيف جديدة .

واضيف الى الخزانات الثلاثة التي كانت موجودة في فرضة رأس تنورة البحرية ، ثلاثة خزانات مماثلة ، سعة الواحد منها ٨٠٠٠٠ برميل . وهكذا اصبح عدد خزانات غازي البوتان والبروبان المبردين ستة خزانات . هذا وقد تم ايضا انشاء ضاغطي تبريد ، ومبدلات حرارة ، وأوعية ، ومضخات .

ان تكاليف مثل هذه المشاريع ، وتطويرها ، باهظة ولا شك . فقد بلغ ما انفقته ارامكو لاقامة مرافق غاز البترول حتى سبتمبر عام ١٩٦٣ ، اي بعد الانتهاء من التوسع الذي جرى في كل من بقيق ورأس تنورة ، مبلغ ٢٥٠٠٠٠٠٠ دولار تقريبا .

وهكذا حلّت المشكلة الاساسية ، وأصبحت الناقلات الخاصة تعبر البحار في المواعيد المحددة ، لتقوم بشحن غاز البترول السائل . بينما شرع رجال التصميم في المملكة العربية السعودية يدرسون من جديد ، امر توسيع هذه المرافق بحيث يصبح بمقدورها تأمين المزيد من الوقود الضروري لليابان ولغيرها من بلدان العالم .



وهكذا اصبح غاز البترول في متناول ايدي ربات البيوت حتى في اليابان .



الحسن الخالد

للشاعر ضياء الدين رجب



شـقّت بكفيهـا العبـاب : فخلتـه نصفـا ونصفـا
وتكسـر المـوج المعـربـد ذائبـا امـلا وعطفـا
وتنـدت الازهـار مـن خجـل تمـد يـدا وكفـا
وتـألقـت في الضفتـين فـأحـدثـت في اليـم رجفـا
وتبسـمت فـانهـل بـرق غمـامـة سـحاء وطفـا
وبـدا الهـلال التـم يسـأل ايـن ألقـاهـا وكيـف
وتنهـدت لهفـي تعـانـق انجمـا رعنـاء لهفـى
يـا للمهـا لـو انهـا كالحـور عاشـت حسـنها في الخلـد عفّـا
مشـبوبـة الـرحمـات ضمـت أهيفـا عجبـا وهيفـا
وتنسـمت أرج الخمـائـل عـابقـا نشـرا ولفـا
بيضـاء تهتـف للمنـى المسـكوب عسـجده المصفـى
أعطـافهـا الـديبـاج تقطـر بهجـة وتسـيل لطفـا
في رفـرف خضـر حسـان تقطـف الآمـال قطفـا
سـكرى بـأنغـام الـربيـع كـأنمـا أغفـت وأغفـى
ريـا : مـن البسـمات تعتصـر الغمـام هـوى وعطفـا
وتجـول في وردية حمـراء تحسـبها مـع الاحـلام طيفـا
ليـت الغـوانـي في السـديـف هتفـن للفـردوس هتفـا
وعلقـن بـالشـرف الـوضـيء يشـع قـربـانـا وزلفـى
لهـربـن مـن ارض الجحيـم وشـدن في الجـوزاء طنفـا
وخطـرن كـاللمحـات كـالنغـم الشـجيّ صـدى وعـزفـا
وسـبحن كـالالهـام يحتضـن الـرؤى صفـا فصفـا
ومشـى بهـن الهيـدبـى عمـر وقـاه الله حتفـا
لا رنـق : لا سـأمـا يمـلّ ولا محـاذرة وخـوفـا
تلـك الأمـانـي الصـافنـات جلـوتهـا للغيـد وصفـا

أصول الألفاظ المعربة

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن

عجيب امر هذه اللغات التي يقترض بعضها المفردات من بعض ، كما يقترض الافراد والجماعات المال والمتاع بعضهم من بعض . فتبادل المفردات بين لغات العالم امر مقرر معروف ، كتبادل السلع والعروض في التجارة سواء بسواء . وليس في الاقتراض اللغوي من بأس ما دام يسد حاجة عند المقترض ، كما يسد المال والمتاع حاجة عند الاقتراض .

وكل لغة في العالم عرضة للأخذ منها ، او لأخذها هي من غيرها ، سواء اكانت غالبة ام مغلوبة . فاللاتينية اخذت من الاغريقية ، والانجليزية اخذت عن النورماندية ، والعرب اخذوا عن الفرس ، والفرس اخذوا عن العرب ... وهكذا لا تستطيع لغة في العالم القديم أو الحديث ان تزعم انها سلمت من الاخذ والاعطاء . ولقد تتبع باحث عربي معاصر اثر اللغة العربية في بضع وعشرين لغة من لغات أوربا اليوم ، واستطاع بعد صبر ومعاناة طويلين ان يضع — في جداول — المفردات العربية مع مقابلها من الكلمات الأوربية المقتبسة . فكان عمله الطريف المفيد هذا نوعا من كشوف الحساب التي تقدمها البنوك — او المصارف باللغة العربية الفصيحة — للعملاء لكي تدل بها على الرصيد ، دائنا كان ام مدينا .

واذا كانت تلك الجداول تدل بوضوح على العربية الدائنة ، او العربية المعطية ، فان بجانبها جداول اخرى في كتب اخرى تدل على العربية المدينة او العربية الآخذة .

ومن اجمع الكتب لهذا الموضوع كتاب « المعرب » لابي منصور الجواليقي من علماء العربية في القرن السادس الهجري ، وان كان جاء بعده في عصرنا الحديث « كتاب الالفاظ الفارسية المعربة » لادّي شير الكلداني الاشوري رئيس اساقفة سعرد ، والمتوفى سنة ١٩١٥ م .

ويختلف الأخذ والتبادل بين لغة وأخرى تبعا لظروف وملابسات كثيرة من الاحتكاك والاتصال والنفوذ والاستعداد للأخذ ووحدة الانتماء اللغوي الى اسرة واحدة كبيرة كالسامية مثلا ، والفروق الحضارية وغيرها . فالمعجم الانجليزي هو من اقل المعاجم اخذا من اللغة العربية ، وكذلك المعجم الفرنسي ، فاننا نجد فيهما بضع عشرات من الكلمات ذوات الاصول العربية ، على حين نجد المعجمين الاسباني والبرتغالي حافلين بمئات من هذه الكلمات . وهنا يجب ان لا ننسى ان العرب الفاتحين اقاموا في شبه جزيرة ايبريا — اسبانيا والبرتغال — بضعة قرون من الزمان ، ونشروا حضارتهم في تلك الارض الاوربية منذ الفتح الاندلسي في اوائل العصر الاموي الى ضياع ذلك الفردوس الاسلامي المفقود .

ولم تكتف بعض اللغات الآسيوية والافريقية بأخذ كثرة هائلة من المفردات العربية ، بل لجأت الى الحروف العربية ذاتها . فأخذتها بشكلها واستعملتها في الكتابة ، كالايرانية والكردية ، والكشميرية ، والازبكية بآسية ، والسواحلية بافريقية . ودعك من اللغة التركية التي ظلت تكتب بالحروف العربية بضعة قرون الى ان جاء مصطفى كمال اتاتورك بسلسلة من تجديداته الجريئة ، فاستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية .

لهذا لا نجد بأسا ولا غضاضة اذا رأينا اللغة العربية قد لجأت الى بنك الاقتراض اللغوي لتأخذ منه حاجتها من لغات كثيرة كالفارسية ، واليونانية ، واللاتينية ، والحبشية ، والنبطية ، والسريانية وغيرها ... ومن اجل هذا الأخذ اللغوي رأينا كتبا جليلة تعالج موضوع المفردات المعربة وأصول الكلمات العربية ، وترد الاعجمي المعرب الى اصله ، حتى لا يتوهم متوهم ان سيل العرب دفاق بلا حساب ، او ان العيون العربية المتفتحة الواعية غافلة عما يتسلل الى رصيد المعجم العربي من ألفاظ ..

ومن الوفاء في هذا المقام ان نذكر بعض الاسماء التي شاركت في موضوع المعرب والتعريب ، كالسيوطي والباقلاني صاحب « اعجاز القرآن » ، وابي عبيدة وابن فارس والثعالبي والطبري المفسر المؤرخ ، وابن دريد ، والجواليقي وأبي حيان في القديم ، وأدي شير والأب مرمرجي الدومينيكي ، والأب انستاس ماري الكرملي ، واحمد الاسكندري ، والأب روفائيل نخلة ، والدكتور علي عبد الواحد وافي في الحديث . وقد دلت الملاحظة والاستقراء من المشتغلين باللغة وأصولها ان عجمة الاسم تعرف بأمور منها ان ينقل ذلك عن العارفين من أئمة اللغة ، ومنها ان يكون وزن اللفظة الأعجمية خارجا على الاوزان العربية المعروفة ، مثل كلمة « ابريسم » ومعناها الحرير ، فهي لفظة اعجمية دخيلة على المعجم العربي ، لان هذا الوزن مفقود في ابنية الاسماء العربية . كما لاحظ علماء اللغة ان اجتماع حروف معينة في الكلمة يخرجها عن عروبتها .

فقد لوحظ ان اللفظ الذي اوله نون ثم راء لا يكون عربيا ، كما في كلمات نرجس ، ونورج ، ونرد ، وشرط اجتماع النون والراء حتى تكون الكلمة اعجمية ان يكون هذان الحرفان من اصل الكلمة لا من الحروف الزائدة ، فاجتماع نون المضارعة مع راء كلمة اصلية لا يكون علامة على العجمة .

ولكما يكون اجتماع النون والراء في اول الكلمة علامة على عجمتها ، فان اجتماع الدال وبعدها زاي في آخر الكلمة هو علامة اخرى على كونها غير عربية . وقد اشار الإمام السيوطي الى ذلك في مبحث له عنوانه «معرفة المعرب» وهو احد فصوله الممتعة في كتابه «المزهر» وليس السيوطي في هذا بأول قائل ، فهو ناقل ، وخاصة عن الجواليقي .

ولوحظ كذلك ان الصاد والجيم لا يجتمعان الا في كلمة اعجمية ، سواء أكانت الصاد سابقة أم لاحقة ، وذلك مثل كلمات : الصولجان ، والجص ، والصنجة ، والأجاص . كما ان الجيم والقاف لا يجتمعان الا في لفظ غير عربي ، مثل «جوق» وهو جماعة من الناس ، و «منجنيق» وهو الآلة التي ترمى بها الحجارة في الحروب .

والاصل في دخول الالفاظ الاجنبية الى لغة انها — او مسمياتها — غير موجودة في ذلك اللسان ، كما ادخل العرب كثيرا من ألفاظ الحضارة التي نقلوها عن الفرس والروم بعد اتصالهم بهم ، فقد وجد العرب انفسهم بعد الفتوحات العربية الكبرى امام سيل من ألفاظ ومسميات جديدة لم تكن على لسانهم ولا في معجمهم ، ولا دائرة في استعمالهم ، فأخذوها بالتعريب حتى لا يكونوا بمعزل عن الحياة التي صاروا اليها ، وصرنا نجد مئات ومئات من امثال هذه الالفاظ : الكوز ، الطشت ، الخوان ، السكرجة ، السمور ، الديباج ، القاقم ، الفيروزج ، البلور ، الزبرجد ، السكباج ، الفالودج ، اللوزينج ، الخولنجان ، الصندل ، القرنفل ، البنفسج ، النسرين ، السوسن ، الياسمين ، الجلنار[1] .

على ان بعضا من هذه الالفاظ المعربة دخل الى اللغة العربية ، وصار في استعمالها قبل الاسلام بكثير من السنين ، مثل كلمتي : الجل ، والياسمين — وهما نوعان من الزهر ، فقد جاءتا في بيت للأعشى يقول فيه :

وشاهدنا الجلّ والياسمـ
ين والمسمعات بأقصابها

وقد تكون الكلمة الاعجمية دخلت الى العربية مع وجود مقابل عربي لها كان يغني غناءها ، ويسد مسدها ، فليست المسألة في الاقتراض اللغوي مسألة حاجة الى الاستعمال وحسب ، ولكنها قد تكون لاعتبارات أخر ، كخفة اللفظ الدخيل ، أو كالتندر والتظرف ، او كمحاولة اثراء اللغة بادخال غريب مستحدث عليها . فلفظ «الهاوون» الذي يستعمل للدق او السحق اعجمية ، ولكنها دخلت على العربية بالرغم من وجود كلمتي المنحاز ، والمهراس وهما عربيتان ... وقد ذكر الخليل بن احمد اللغوي المعروف ان نبات «اللوبيا»[2] الاعجمي هو نبات «الدجر» باللغة العربية . ولا شك ان هذا الاستعمال للفظ الاعجمي بدلا من مقابله العربي يدل على تحري الخفة في الاستعمال ، فان «اللوبيا» اخف نطقا وألطف على السمع واللسان من كلمة «الدجر» .

ولا شك ان التذوق النطقي مسئول الى حد كبير عن ترك العرب لاستعمال كلمة «جلّق» الى كلمة «دمشق» بدلا منها . والكلمتان لمسمى واحد هو المدينة الشامية المعروفة ، واللفظتان اعجميتان . وقد استعمل الشاعر حسّان بن ثابت لفظة جلّق في قصيدته التي يقول فيها :

لله درّ عصابة نادمتهم
يوما بجلق في الزمان الأول

ولكن العرب منذ الفتح هجروا كلمة جلّق واستعملوا بدلها دمشق ، ولعلهم راعوا في ذلك حلاوة نطقها . فهي خفيفة في اي وزن من بحور الشعر جاءت فيه منذ العصر الاموي حتى اليوم ...

وتعريب الالفاظ المعجمة يقتضي عددا من التغييرات ، كاستبدال حرف بحرف ، وتقديم حرف وتأخير آخر ، وحذف بعض الحروف استغناء عنها ، وذلك كله حتى يوائم اللفظ المعرب طبيعة اللغة العربية وبناءها .

والملاحظ ان ابدال حرف بحرف عند التعريب لا يكون الا عند قرب المخرج بين الحرفين ، كالقرب ما بين الباء والتاء ، والقرب ما بين السين والشين ، والقرب ما بين الزاي والسين .

وحين تعرّب اسماء المدن وأعلام الاشخاص فانها تتعرض لتغييرات كثيرة ، مثل كلمة دمشق التي كان اصلها الرومي (داماسكوس) . ولعل مثالا واحدا في اعلام الاشخاص تتضح به القضية ، فان ارسطو الفيلسوف قد عرفه العرب ونقلوا اسمه الى لغتهم ، ولكنه ورد على اوزان وأبنية مختلفة ، فتارة ارسطو وأخرى ارسطوطاليس ، وثالثة ارسططاليس ، ورابعة رسطاليس ، وممن استعمل هذا الوزن الاخير شاعر العربية الاكبر ابو الطيب المتنبي حيث يقول :

من مبلغ الأعراب اني بعدها
شاهدت رسطاليس والاسكندرا؟
ولقيت كل الفاضلين كأنما
ردّ الإله نفوسهم والاعصرا

(١) اشتمل «المعجم الوسيط» على طائفة كبيرة من الألفاظ العامية الشائعة ، وقد أجازها واضعو المعجم ولم يروا بأسا في تداولها .
(٢) في معجم الالفاظ الزراعية للعلامة الامير مصطفى الشهابي ان اللوبيا من السريانية ، والاصل يوناني . وكانت العرب تطلقها على بضعة انواع نباتية .

الباب الشرقي لمدينة دمشق ، ويرجع بناؤه الى عهد الرومان (القرن الثالث للميلاد) .

دمشق المدينة التاريخية

بقلم الاستاذ عبد القادر الريحاوي

رئيس مفتشي الآثار والمتاحف السورية

نشأت دمشق في منطقة مختارة ، ارضها خصبة ومياهها عذبة واقليمها معتدل. مياه بردى الغزيزة تهبط اليها من المرتفعات المجاورة في الغرب فتتوزع في انحائها على شكل المروحة مؤلفة سبعة أنهر هي بردى في الوسط وتورا ويزيد في الشمال وبانياس والقنوات والديراني والمزة في الجنوب ، فتسقي المدينة وضواحيها وتخلق من حولها روضة غناء هي الغوطة الشهيرة التي تتلألأ كزمردة خضراء وسط بحر من رمال الصحراء الممتدة بعيدا نحو الشرق والشمال الشرقي الى حدود الفرات وجنوبا الى بحر العرب . بينما تحجزها جبال لبنان عن البحر الابيض المتوسط الذي لا يبعد عنها اكثر من مائة كيلومتر .

وموقعها الجغرافي جعلها محطة في طريق المواصلات بين الشرق والبحر المتوسط وبين الاناضول ومصر وهيأها لأن تلعب دورا هاما في أحداث الشرق خلال عصور التاريخ . ولسنا هنا في معرض الحديث عن تاريخ دمشق الحافل واحداثها التاريخية ولكننا مضطرون لأن نرسم الخطوط العامة الكبرى لهذا التاريخ ليتاح لنا فهم تكوين هذه المدينة القديمة وما تراكم على ارضها من تراث الأجيال وانتشر بين جنباتها من عبق التاريخ .

تظهر دمشق على مسرح الاحداث في منطقة الشرق القديم كعاصمة للشعب الآرامي منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد . ثم تسقط في أيدي الآشوريين في عام ٧٣٢ (ق.م.) وتنتقل في القرن السابع الى ايدي البابليين ثم تخضع للفرس في القرن السادس . وفي عام ٣٣٢ ق. م. يحتلها الاسكندر المقدوني فيرتبط مصيرها من ذلك الحين فترة عشرة قرون بالغرب الممثل بالسلوقيين اليونان ثم بالرومان ثم بالبيزنطيين . حدث الفتح الروماني في عام ٦٤ ق.م. ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية في اواخر القرن الرابع الميلادي اصبحت دمشق مع سوريا تابعة للقسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية . وفي عام ٦١٢ للميلاد سقطت في ايدي الفرس الساسانيين اعداء البيزنطيين الى ان تم للامبراطور هرقل اخراجهم في عام ٦٢٧ للميلاد .

وبعد سنوات قلائل يقع الحدث الهام في تاريخ دمشق ، الا وهو الفتح العربي الاسلامي ، الذي تم في عام ١٤ للهجرة (٦٣٥ للميلاد) . وبه انتهى النفوذ الغربي واصبحت دمشق جزءا من الدولة العربية الكبرى . ولا تمضي ثلاثون عاما على هذا الحدث الا وتكون دمشق قد غدت عاصمة الامبراطورية العربية في عهد معاوية مؤسس الأسرة الأموية التي حكمت ما يقرب من قرن كان مليئا بالمجد والسؤدد ، وبلغت خلاله حدود الدولة العربية الصين شرقا وجنوب فرنسا غربا .

وينتهي العصر الذهبي لدمشق بزوال الأمويين وانتقال الحكم الى العباسيين ، وتغدو دمشق مدينة ثانوية تابعة لبغداد العاصمة الجديدة للدولة . ويخيم عليها الظلام والفوضى عدة قرون . ثم تتحول نحو مصر في عهد الطولونيين والاخشيديين الذين استقلوا بمصر والشام استقلالا ذاتيا عن خلفاء بغداد . ثم يحكمها الفاطميون سلاطين القاهرة بين عامي ٩٧٣ و ١٠٧٥ للميلاد . في ذلك التاريخ كان النفوذ السلجوقي المسيطر على بغداد قد امتد الى سوريا ، وسقطت دمشق بيد الأمير «تتش» بن السلطان ألب ارسلان فجعلها امارة سلجوقية تابعة لبغداد . وفي هذا العهد قامت الحروب الصليبية واحتل الصليبيون فلسطين وأخذ خطرهم يمتد نحو دمشق ، وحاصرها ملك الألمان «كونراد الثالث» في عام ١١٤٢ واصبح حكام دمشق اعجز من ان يقفوا وحدهم امام هذا الغزو . واحس الناس بضرورة الاتحاد ، وبحثوا عن زعيم قوي ينقذهم

من الخطر فوجدوه في «نور الدين محمود بن زنكي» ملك حلب ، الذي كان يحارب الصليبيين في الشمال بشجاعة واخلاص . ودخل نور الدين دمشق عام ١١٥٤ م. واتخذها عاصمة للدولة الموحدة التي شملت المقاطعات السورية اولا ثم مصر واليمن . وجاء بعده السلطان صلاح الدين يتمم رسالته في الوحدة والتحرير وعاشت دمشق عهد احيــاء **(Renaissance)** وعمت النهضة فيها سائر الميادين الحربية والعمرانية والثقافية ، وعادت خلاله دمشق الى مسرح الأحداث في الشرق العربي واستعادت بعض مكانتها التي فقدتها منذ انتهاء العهد الأموي .

ودامت دولة الايوبيين في الشام التي اسسها صلاح الدين الى ان قضى عليها الغزو المغولي في عهد «هولاكو» عام ١٢٤٨ للميلاد . وكانت مصر قد خرجت من ايديهم قبل عشر سنوات وقام فيها ما يعرف بدولة المماليك ، وهم رجال الجيش من الأرقاء المحررين عند اسيادهم الأيوبيين الذين اغتصبوا السلطة منهم في مصر ثم مدوا سيادتهم الى الشام عندما جاءوا لانقاذها من المغول . وحظيت دمشق رغم تبعيتها للقاهرة بمكان مرموق في العهد المملوكي وكانت بمثابة العاصمة الثانية ومركز اكبر ولايات الدولــة . واستمرت حركة النهضة في سيرها ، وتقدمت العلوم والفنون ونشطت التجارة ، ولكن هذا الازدهار كان يصاب بنكسات من حين لآخر وحلت بها افدح مصيبة في تاريخها كله عندما دمرها تيمورلنك في عام الف واربعمائة م .

وفسد الحكم المملوكي في آخر ايامه ، وكثرت الانقلابات العسكريــة وحركــات العصيان ، واصطـدم المماليك مع جارتهم في الشمال وهي الدولة العثمانية الفتية فكانت على يدها نهايتهم . ودخل العثمانيون دمشق في عام ١٥١٦ ليحكموها وسائر العالم العربي اربعة قرون ، كانت خلالها مركز ولاية تابعة لاستامبول وتقيم فيها حاميات عسكرية مسؤولة عن امن المنطقة . كما غدت المحطة الرئيسية لقوافل الحج القادمة من أنحاء العالم الاسلامي ، يتولى حاكمها مسؤولية حماية الحجاج وقيادتهم الى الاراضي المقدسة . وافادت دمشق من هذا الموسم فوائد اقتصادية هامة ولكن فساد نظام الحكم العثماني جعل الجهل والركود يسودان فيها وفي غالبية البلاد العربية . وكذلك ألحقت بها الفتن والاضطرابات الداخلية الانحطاط والتقهقر . ثم ظهرت بوادر اليقظة الفكرية والقومية في اواخر القرن التاسع عشر ، وبدأ الغليان الثوري ، للخلاص من الحكم العثماني ، يقوى ويشتد في اوائل القرن العشرين . وجاءت الحرب العالمية الاولى فانتهزها العرب ، واتفق زعماء دمشق مع امراء الحجاز على الثورة كما هو معروف ، وخرج العثمانيون في تشرين الاول ١٩١٨ ، ولم تمض على الحكم العربي في ظل الملك فيصل سوى اشهر معدودات ، حتى دخلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غورو في تموز ١٩١٩ ، وفرض الانتداب الفرنسي بالقوة على سوريا ، وراحت دمشق تقارع الاستعمار مع بقية المدن السورية حتى تخلصت منه في عام ١٩٤٦ ، وبدأت تعيش حياتها الطبيعية كعاصمة للجمهورية العربية السورية ، وتنال حظها من التطور والتقدم كاحدى مدن الشرق العربي المهمة وأجملها .

* * *

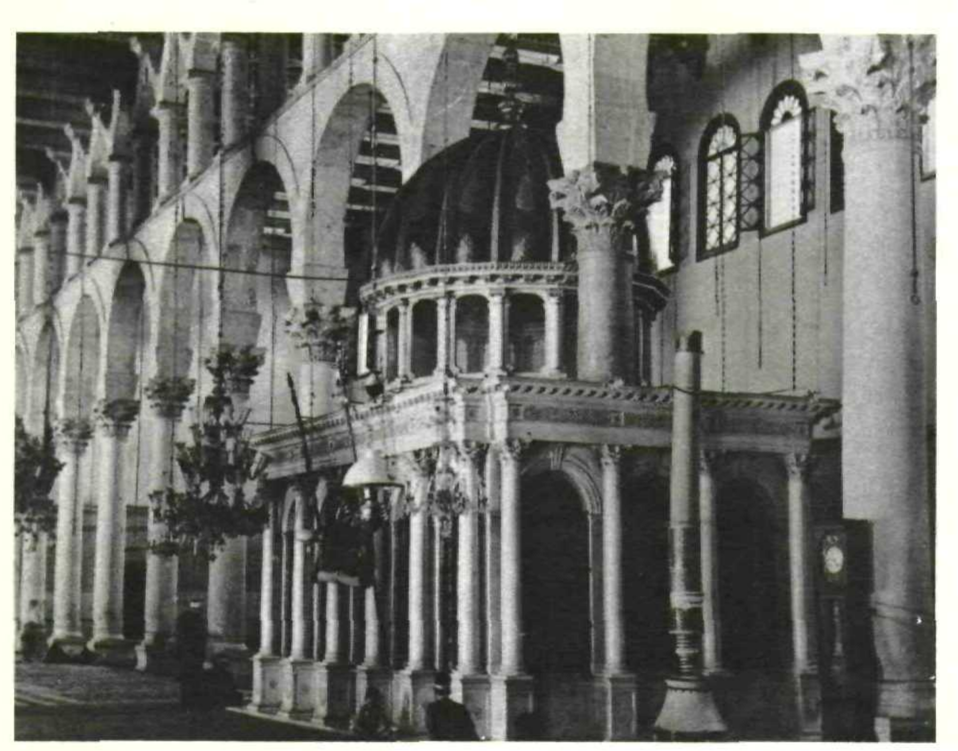
خلال هذه العصور التاريخية التي استعرضتها سريعا ، بنيت مدينة دمشق ، ونمت ، وتطورت ، وحفلت بانواع المبــاني والمنشآت ، واصبح لها طابع خاص يميزها عن سائر المدن . وهي اليوم ككل مدينة تاريخية تتألف من مدينتين قديمة وحديثة .

والمدينة القديمة ذات الشهرة العالمية هي التي خصصناها بالبحث في هذه المقالة القصيرة ، لنجلو معالمها ، ونتحدث عن خصائصها وما فيها من اسوار عالية ، وابواب حصينة ، واسواق مسقوفة ، وأزقة ضيقة ، ومعالم متنوعة الفنون والاساليب ، جعلتها تتحلى بالجاذبية والسحر . على اني سأترك الحديث عن معالمها الشهيرة الى مقالة أخرى قادمة ان شاء الله .

أن اول ما يلفت الانتباه في مدينة دمشق القديمة سورها الذي لا يزال يضرب حولها نطاقا ظاهر المعالم لم تنقص منه سوى اقسام بسيطة . وقد حجبت المساكن بعضه وركبت اعالي بعضه الآخر . ولكن قسما هاما منه بقي على حالته الاصلية يشاهد بين باب السلام وباب توما . ويمكن السير بحذائه ، وتأمل حجارته الضخمة وارتفاعه الكبير . كما لا تزال الابراج العديدة تشاهد في جهات السور المختلفة ، واهمها برجان جديران بالمشاهدة أحدهمــا مستدير يحمل اسم نور الدين زنكي (القرن الثاني عشر الميلادي) ، والثاني مربع يحمــل اسم الملك الايوبي الصالح ايوب (القرن الثالث عشر) . واما الخندق المحيط بالمدينة فقد ردم كله ، وكان حتى القرن السابع عشر عميقا يمتلىء بالمياه عند اللزوم . وذكر أحد المؤرخين ان عمقه عند القلعة ينوف على مائة ذراع ، وكان عليه جسر أمام كل باب من ابواب المدينة التسعة . وهذه الابواب لا تزال كلها باقية على حالتها الأصلية لم ينقص منها سوى باب واحد هو باب النصر الذي كان عند مدخل سوق الحميدية ، وقد هدم في عام ١٨٦٣ . وكلها ايضا من العهود العربية ما عدا الباب الشرقي فهو من العهد الروماني .

وقد زود كل باب ، في العهود العربية ، بسويقة (باشورة) كانت تبنى غالبا على جانبي الجسر ويتمون منها سكان الأرياض (اي الاحياء الكائنة خارج السور) في حالة الحصار وعند اغلاق الابواب . وكانت تباع الزهور في الماضي عند كل باب .

والابواب جميعها اليوم مفتوحة في الليل والنهار ، يجتازها آلاف السكان في الصباح والمساء ، وكانت في العصور السابقة تغلق ليلا ، بعضها عند الغروب ، والبعض بعد العشاء ، وفق نظام مقرر ومرسوم سلطاني . وكانت بوابات المدينة في العهد الروماني بسيطة ذات فتحة واحدة ، باستثناء البابين الرئيسيين باب الجبانية وباب توما المتقابلين ، فان لهما واجهة عريضة ذات ثلاث فتحات ، الوسطى منها واسعة . ويصل بين البابين الشارع المستقيم ، اطول شوارع المدينــة القديمة (١٥٠٠ متر) واعرضها (٢٤ مترا) . وكان هذا الشارع في العهد الروماني مؤلفا من رواقين مسقوفين أمام المخازن التجارية ، بينهما شارع مكشوف



الجناح الغربي من المسجد الاموي ، ويبدو فيه قبر سيدنا يحيى عليه السلام .

لمرور العربات يقابل الفتحة الوسطى لكل من البابين . وقد سد هذان البابان في القرون الوسطى لتسهيل مهمة الدفاع ، واحتفظ بفتحة صغيرة واحدة للمرور . والفتحة الشمالية للباب الشرقي هي وحدها المستعملة في ايامنا ، وتتسع على صغرها للسيارات الكبيرة . وتعمل مصلحة الآثار اليوم على كشف ما اختفى من اجزاء هذا الباب وترميمه ليعود الى وضعه الأصلي بفتحاته الثلاث كأحسن أبواب المدن الرومانية الباقية في العالم .

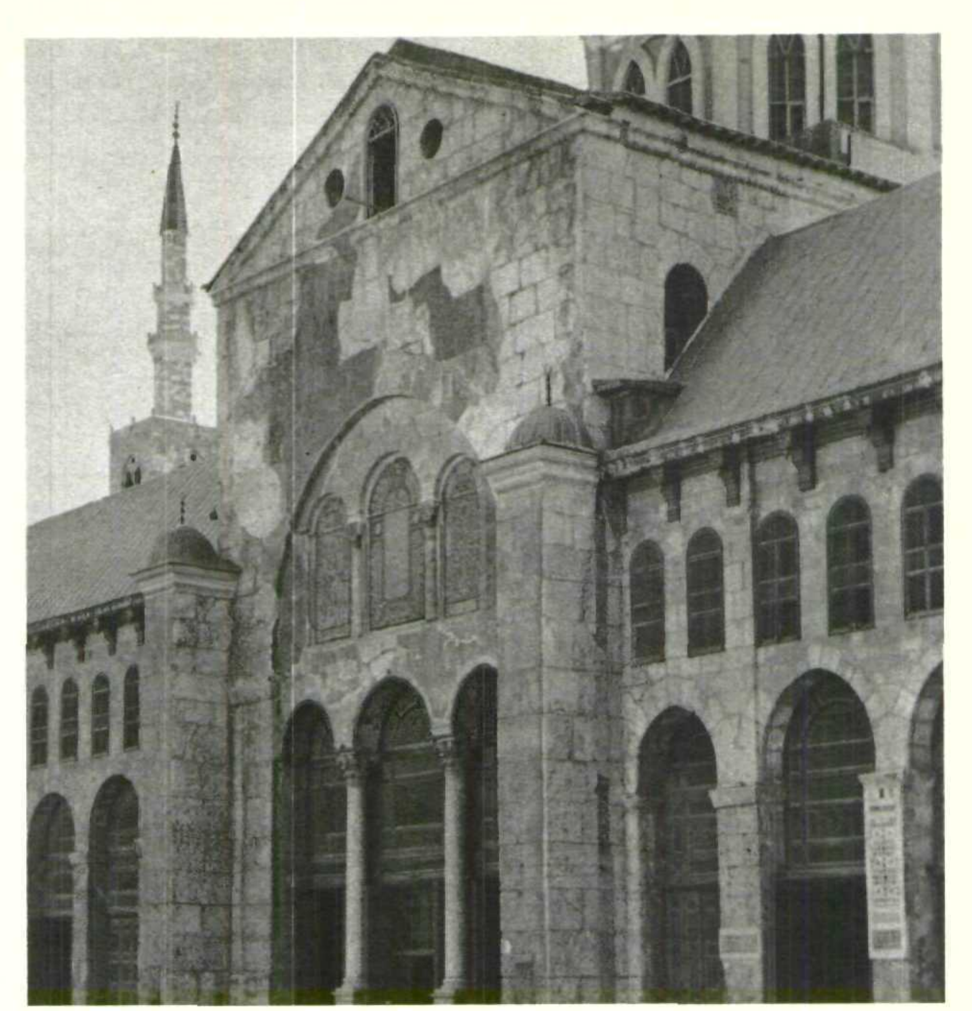
وتلقت بوابات السور في العهود العربية تطورا معماريا زاد في مناعتها ، وغدت مزودة ببابين داخلي وخارجي ، وهما غالبا على استقامتين مختلفتين وغير متقابلتين ، وأحسن مثل على هذا الطراز من الابواب ، باب الفرج المشهور بباب المناخلية .

وهناك عنصر آخر من معالم المدينة القديمة يجذب الانظار ، ونجده في الاسواق والاحياء . فقد كانت الاسواق في العهد الروماني مكشوفة الا العظيمة منها فانها كانت مزودة بأروقة جانبية كما رأينا في وصف الشارع المستقيم ، وقد زالت معالم هذا النوع من الاسواق ولم يبق منها سوى سوق صغير في المسكلية الواقعة على باب الجامع الاموي الغربي – باب البريد – . ولكنها بنيت في القرون الوسطى ، مسقوفة كلها «بجملون» ، ثم أضيفت القباب في العهد العثماني الى هذه السقوف . وبنيت السقوف بالحجارة تارة كأسواق حلب وبالخشب تارة أخرى ، ثم حل الحديد محل الخشب في اواخر القرن التاسع عشر تجنبا للحرائق . ولا تخلو الاسواق العربية من جامع ، ومدرسة وخان ، ومن حمام وسبيل . وكانت الخانات بعضها مخصص لاهل مهنة معينة او سلعة من السلع كالاسواق والقيساريات ، وبعضها الآخر للتجارة الخارجية ، ولنزول القوافل التجارية .

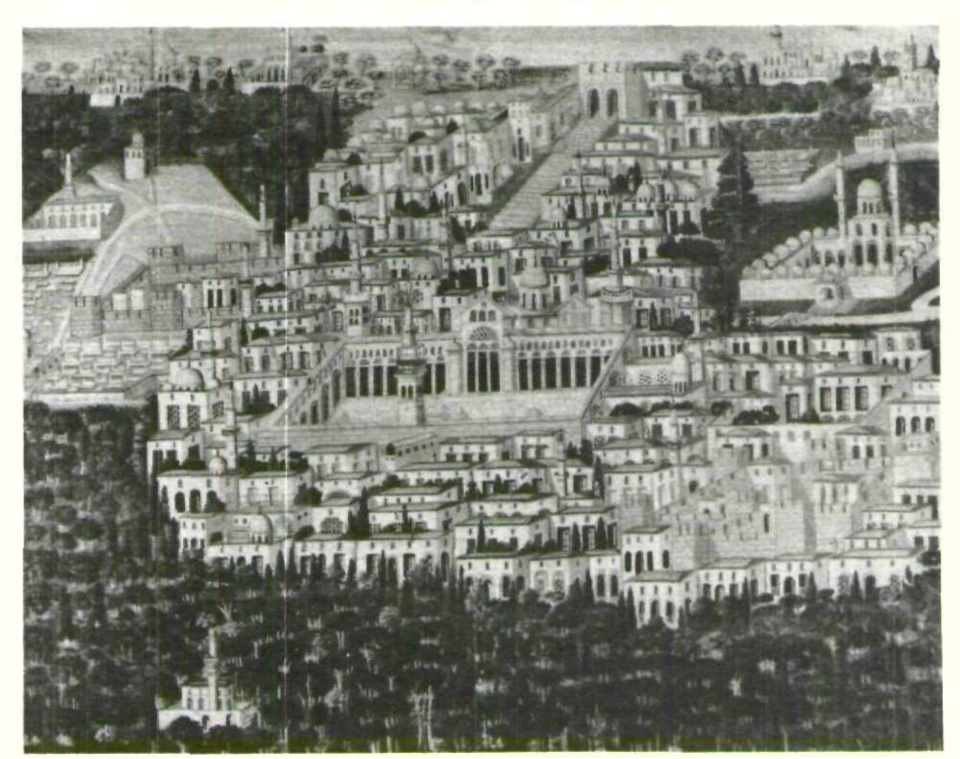
وهذه القيساريات الخانات مؤلفة من طابقين ، ومسقوفة احيانا بالقباب ، واحيانا ذات باحة سماوية تتوسطها بركة واسعة وتحيط بها الاروقة .

واشتهرت دمشق في كل العصور بأسواقها وخاناتها ، ولفتت انظار الرحالة ، فتحدثوا عنها في مذكراتهم ، ويحسن ان نستشهد ببعض منها . قال المقدسي (في القرن العاشر الميلادي) : «واكثر اسواقها مغطاة ، ولهم سوق على طول البلد مكشوف حسن» (يقصد السوق المستقيم الذي مر ذكره) . وقال ابن جبير (في القرن الثاني عشر) : «أسواق هذه البلدة من أحفل اسواق البلاد وأحسنها انتظاما وأبدعها وصفا ، لا سيما قيسارياتها فهي مرتفعة كأنها الفناديق ، ولها سوق يعرف بالسوق الكبير ، والبلد كله سقايات قلما تخلو سكة من سككه ، او سوق من اسواقه من سقاية» .

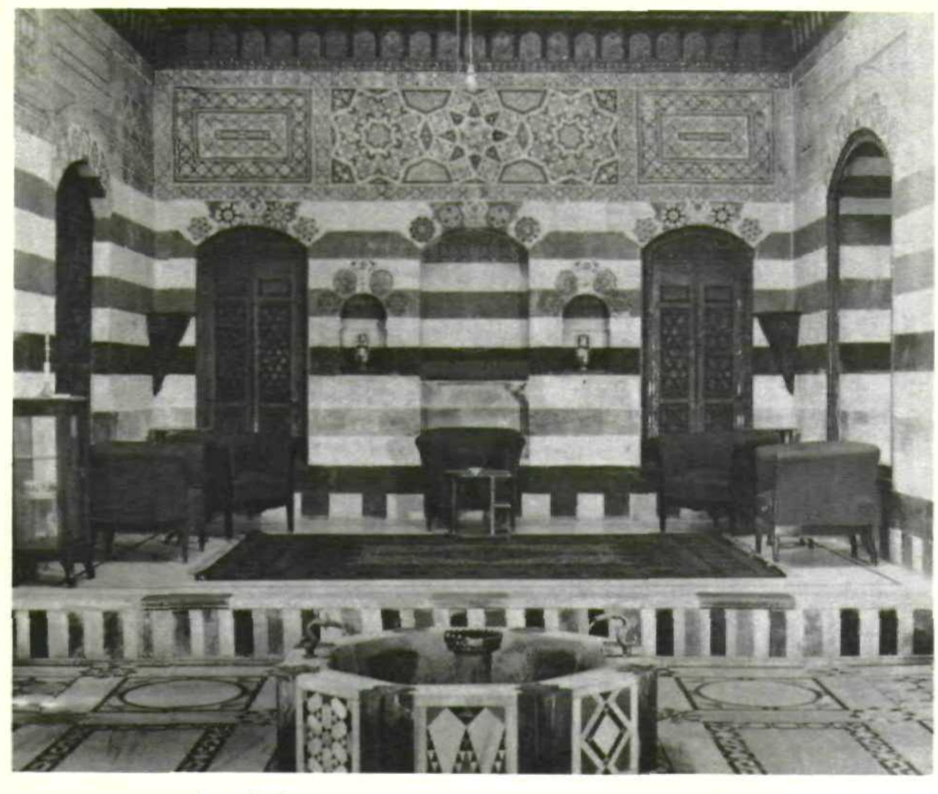
ويقصد ابن جبير بالسقايات السبلان (Public Fountains) التي اشتهرت بهـا دمشق ، لكثرة مياهها ، وقد هدم كثير منها ، وقطعت المياه في السنوات الأخيرة عن كثير أخر للاغراض الصحية ،



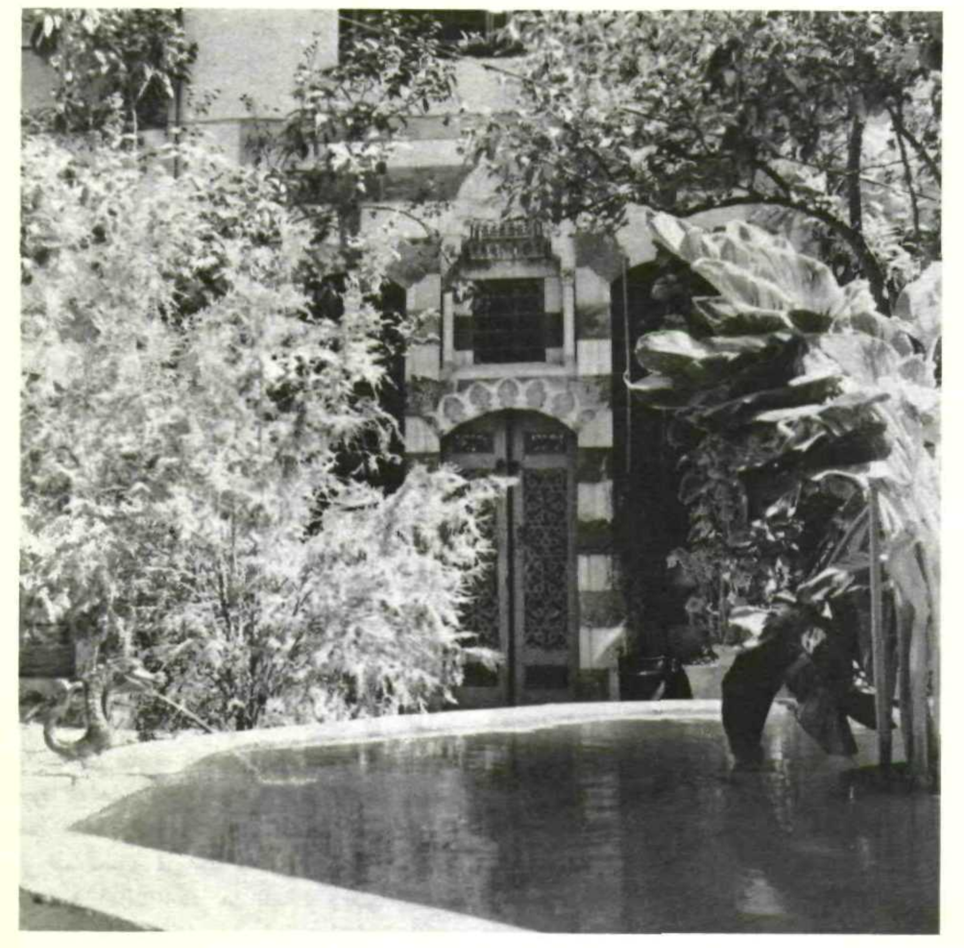
الواجهة الجنوبية للمسجد الاموي المطلة على الصخرة ، وتبدو فيها المئذنة الشرقية .



مدينة دمشق كما رسمها فنان في القرن السابع عشر .



جانب من قاعة احد البيوت الدمشقية القديمة ، ويرجع عهدها الى القرن الثامن عشر .



باحة بيت دمشقي قديم .

لكون مياهها آتية من النهر الذي غدت مياهه ملوثة .

والمعروف ان المدينة القديمة كانت قبل نقل مياه «عين الفيجة» اليها في اوائل القرن العشرين تتزود بالمياه من فرعي بردى ، بانياس والقنوت . الأول يدخل الى القلعة ثم يخرج فرع خاص منه الى الجامع الأموي ، بينما تتوزع مياه القنوات في احياء ومساكن القسم الجنوبي من المدينة . وتتفرع مياهها الى اقنية بلغ عددها في ايام المؤرخ ابن عساكر (القرن الثاني عشر الميلادي) مائة وتسعا وعشرين قناة تصل الى كل بيت وحمام وجامع ، وتدخل المطاهر (دورات المياه) التي احصاها ابن جبير باربعين . وكانت المياه الوسخة ومياه البرك منذ القديم تصب في مجاري خاصة معقودة تحت اقنية المياه النظيفة ، وتتجمع في مجرى واسع يحملها الى خارج المدينة ، فتسقى منها الغيطان .

قال العمري (في القرن الرابع عشر) : «فيها الاسواق المليحة الترتيب ، والقياسر الحصينة» . وشاهد الشاعر الفرنسي «لامارتين» خان اسعد باشا العظم ، فذكرته قبته العالية بقبة كنيسة القديس بطرس في روما . ووصف السائح الانجليزي «بورتر» اسواق دمشق في منتصف القرن التاسع عشر فقال : «من الممتع التجول بين هذه الأسواق ، ومشاهدة انواع البضائع» . ولاحظ أمام كل حانوت مصطبة ، كما لاحظ التجار يجلسون بين بضائعهم بهدوء واحترام . وقال عن سوق الاروام : «تجدر زيارته من كل سائح ، لتأمل الأزياء العديدة والمعروضات الثمينة من السيوف الدمشقية ، والبورسلين القديم ، (ربما يقصد الخزن القاشاني) ، والدروع والاسلحة المطعمة بالذهب والفضة ، والثياب الموشاة بالذهب ، وأنواع السجاد الشرقي الثمين» .

وكانت الشوارع والاسواق منذ القديم مرصوفة بالحجارة ومزودة بالارصفة . قال عنها ابن بطوطة : «ان في دمشق اوقافا لاصلاح الطرق ورصفها ، لان ازقتها لكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليها المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك» .

واذا نحن عجنا قليلا خلف الاسواق ، شاهدنا الاحياء والازقة ، واستوقفتنا مشاهد أصيلة لا تزال تحتفظ بها هذه المدينة بين اكثر احيائها التي لم يغزها بعد الاسمنت المسلح . واول ما يلفت انتباهنا ، ونحن نجتاز أحد الأحياء ، باب واسع للحي كان يغلق في احوال الحصار والاضطرابات ، ويكتفي بالمرور من باب صغير مفتوح في وسطه يطلق عليه اسم (خوخة) .

ونرى بيوت الحي قد برزت لها على الشارع اكشاك واخصاص تقاربت من بعضها حتى تلامست فحجبت الشمس عن الزقاق الضيق ، واضفت عليه ظلمة وسكونا جذابين . ويزيد في جاذبية هذه البيئة المسكنية ألوان البناء الذهبية الهادئة المصنوعة من الخشب واللبن ، والمطلية بالترابة ، الممزوجة مع القش . فاذا ما توغلنا في الحي ، رأيناه يلتوي ويتفرع الى ازقة صغيرة لها بدورها ابواب خاصة بها تؤدي الى عشرات البيوت .

ان مثل هذه الزيارة تذكرنا بما تحدث به الرحالة القدماء كالمقدسي الذي سبق ذكره حيث قال : «وأبنيتها خشب وطين ومنازلها ضيقة وازقتها غامة» . اما ابن جبير فيقول : «وبناء البلد طين وقصب وطبقات بعضها فوق بعض ، ولذلك يسرع الحريق اليه . وهو كله ثلاث طبقات ، فيحتوي من الخلق ما تحتوي ثلاث مدن» .

ولا بد للسائح المتجول بين هذه الأزقة والمساكن من ان يحمله الفضول لمعرفة ما وراء الابواب المغلقة والوقوف على كنه البيت الدمشقي . ولكن مصلحة الآثار السورية كفت السائح مؤونة الاستئذان وطرق الابواب ، وفتحت امامه بيت العظم مقر متحف التقاليد الشعبية اليوم ، ليرى فيه نموذجا كاملا لمئات الدور الدمشقية التي كان يقطنها الميسورون من اهل دمشق الذين آثروا اليوم السكن في الاحياء الحديثة ، وتركوا تلك الديار للطبقة الفقيرة رغم ما تتحلى به من رحابة وجمال وملاءمة للاقليم والعادات . فلقد اسهم في تكوين البيت الدمشقي وايصاله الى هذا المستوى من الكمال عوامل عديدة في مقدمتها البيئة الطبيعيــة والاقليم والفنون المعمارية والزخرفية التي اتت بها العصور التاريخية والتقاليد الاجتماعية . ان أغلب الدور التي تعيش بين ظهرانينا لا ترجع الى ابعد من القرن الثامن عشر ، الا انها تشبه الى حد بعيد الدور التي تصفها المصادر التاريخية في القرن الرابع عشر وما قبله . يحدثنا العمري صاحب مسالك الابصار عنها فيقول : الأبنية فيها بالحجر والخشب ، والآجر مضبب بين مداميك البناء بالخشب الملبن . وبها الديار الجليلة المذهبة السقوف المفروشة بالرخام ، ومنها ما هو مؤزر الحيطان بالرخام المنوع المفصل بالصدف والذهب . ذات البرك والماء الجاري ، يجري الماء في الدار الواحــدة في أماكن منها» . واضاف القلقشندي (القرن الخامس عشر) في الصبح الأعشى قال : «وعناية اهلها بالمباني كثيرة ، وان كانت حلب أجل بناء لعنايتهم بالحجر ، فدمشق ازين واكثر رونقا لتحكم الماء الى مدينتها ، ويستعمل في عماراتها الخشب الحور بدلا من خشب النخل ، الا انه لا يغشى بالبياض ويكتفى بحسن ظاهره» .

وتذكرنا الجملة الأخيرة بالأبنية القديمة ذات الواجهات الخشبية التي ما زالت قائمة في بعض البلدان الأوربية وخاصة تلك التي تشاهد في مقاطعة النورماندي في فرنسا ، وفي المانيا . ولنقدم الآن وصفا موجزا للبيت الدمشقي القديم مما تقع عليه اعيننا من بيوت ما تزال قائمة .

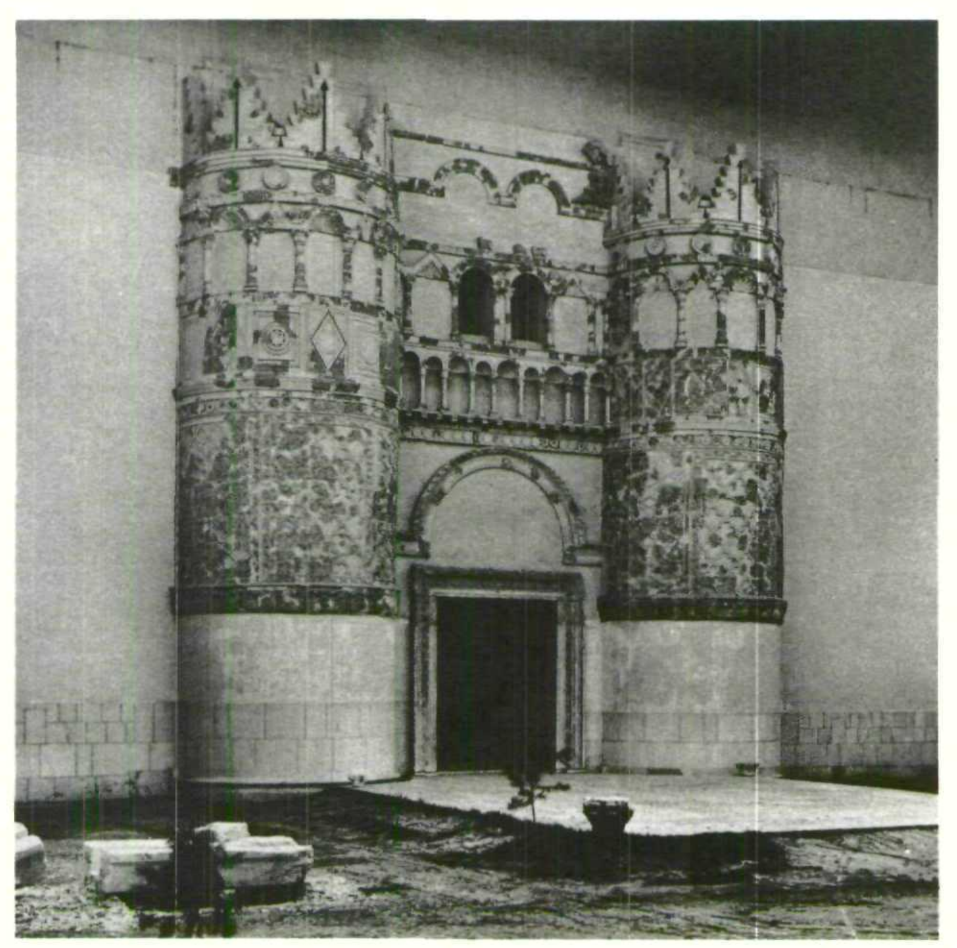
ان اول ما نلاحظه في هذه البيوت هو التباين الكبير بين مظهرها الخارجي المسرف في البساطة ، وجوها الداخلي الحافل بانواع الزخرف والترف . وهو يحتل مساحة واسعة من الارض محاطة بالأسوار الصماء التي قلما تحتوي على طاقة او كوة تطل على الشارع . وللبيت في الغالب اكثر من باب ، ويضم جناحين او ثلاثة يتوسط كلا منها باحة سماوية ، الأول للاسرة ، والثاني للضيوف ، والثالث للخدمة . وقد جرت العادة ان يطلق على القسم الأول (حرملك) ، وعلى الثاني (سلملك) ، حسب تسمية الاتــراك العثمانيين ، الأمر الذي حمل الاوربيين على فهم هذه التسمية فهما خاطئا ، فجعلهم يظنون ان في كل بيت عربي عديدا من الحريم والزوجات ، لكل منهن جناح خاص .

والباب الرئيسي يغلق بمصراع واحد من الخشب المصفح بالحديد والمسامير الغليظة ، مزود بمطرقة أنيقة من حديد او نحاس . وينفتح في هذا المصراع غالبا باب صغير يسمى (خوخة) يستعمل للدخول في الاحوال العادية . ويلي الباب دهليز مسقوف ملتو أحيانا يؤدي الى الفناء المكشوف . وهنا يحس الزائر بالانتعاش والنشوة بما تقع عليه عيناه من بركة ماء تلعب فيها النوافير ، وتحيط بها الاشجار والزروع ، وأحواض للازهار والرياحين والعرائش ، وجدران ملونة الاحجار قد فتحت فيها ابواب ونوافذ مزخرفة العواكف بالفسيفساء ، وقد نقشت درفاتها الخشبية بالزخارف الهندسية ، وطعمت بالعاج او الصدف . ويشاهد في ركن من اركان هذا الفناء ايوان واسع ، او رواق على عواميد ، فرشا بالأرائك والسجاد ، وأعدا للجلوس في امسيات الصيف والنهــارات الجميلة . والبيت مؤلف من طابقين ، الارضي يصلح لايام الصيف لرطوبة قاعاته والعلوي يصلح للشتاء لأنه ابعد عن الرطوبة واكثر تعرضا لأشعة الشمس .

والقاعات كلها قد كسيت جدرانها بالرخام الملون ، والخشب المزخرف بالرسوم والاصباغ ، والموشى بالـــذهب ، وكذلك الحال في السقوف الخشبية الدقيقة الصنع . اما الارض فقد بلطت بالرخام الملون المرصوف بأشكال هندسية ، ولا يتسع المجال هنا للاسترسال في وصف تفاصيل هندسة البيت الدمشقي وزخارفه ومزاياه وما فيه من صنعة وفن وجمال . ويكفي ان نلمس الأثر الذي تتركه زيارة مثل هذه الدار العربية في نفوس الاجانب والغرباء ، والدهشة التي ترتسم على وجوههم ، لنعرف مدى ما تتصف به من جمال .

ان «غليوم» ولي عهد بروسيا ، عندما زار دمشق عام ١٨٦٩ ، نزل ضيفا في احدى هذه الدور وشهد بأنها احسن دار نزلها في سياحته . وعندما زار «غراندوق» روسيا دمشق ، أضيف في «دار القدناي» القريبة من الجامع الأموي . ولو تحول بعض هذه الدور الواسعة الى فنادق ومقاهي ومطاعم ، لطاب للسائح في هذه الأيام العيش فيها يوما او بعض يوم ، وخرج بذكريات لا تنسى .

(الصور من : المديرية العامة للآثار ، دمشق)

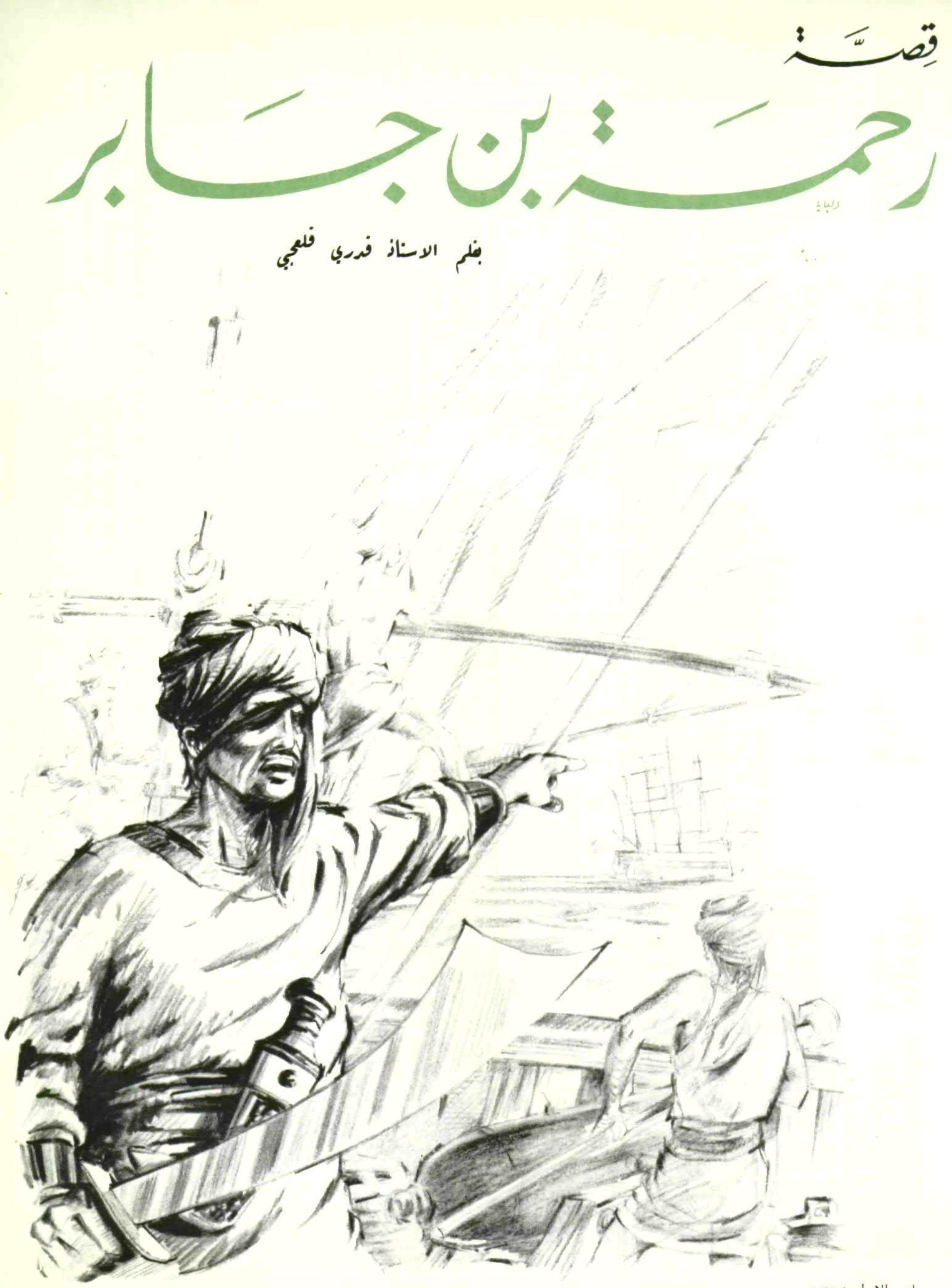


مدخل قصر الحير ، احد الآثار التاريخية الرائعة التابعة للمتحف الوطني بدمشق .

قصة

رحمة بن جابر

بقلم الاستاذ قدري قلعجي



جمادي الاولى ١٣٨٤

كان العمل قائما على قدم وساق في احد احواض بناء السفن في الكويت ، والعمال قامات محنية في اعصاب مشنجة مكبة على قطع الاخشاب التي عولجت فحدبت او قوست ، يضم اجزاؤها المتجانسة بعضها الى بعض ، ثم لا تلبث ان تهوي المطارق على دسرها لتأخذ شكل قارب او سفينة تدفع بها رياح الطموح الى اقاصي الشرق حيث تعود موفورة بالخيرات المختلفة ...

واشتد أوار الهاجرة في ذلك اليوم من سنة ١٨٠٠ ، وألقت الشمس نظرة غضبى على كثبان الرمل ، ساكبة شواظها على صفحة الماء المترقرقة بين هدير المطارق ، وجلبة المناشر ، ولغط العمال المرهقين الخائضين في الماء ، تتقطر اجسامهم بالعرق المتمع حبيبات لؤلؤية ...

وصاح صائح مؤذنا بالراحة ، فنهض من بين العمال شاب في مقتبل العمر ، اسمر البشرة ، غريب الصورة ، معروق على شدة اعصابه ، ورفع وجهه محدقا بقرص الشمس الناري بنظرة تحد ، ثم التفت الى زميل له قائلا :

– الا ترى الشمس كأنها تود لو كان في مستطاعها الارتماء في غمار هذا الموج ، لتشفي غليلها بعد ان كادت تحرق ذاتها بذاتها .. ومع ذلك يأبى علينا حمود الا ان نواصل الكدح ، ونتابع النصب ، فيما هو مختبىء في الظل ، تحت سقف بيته ، وقد استلقى على ظهره مسلما عينيه لنوم هادىء لذيذ ، تروح عليه الخادم بمروحة مبللة بالماء ... الا تبا لحياتنا وتعسا لوجودنا ! ...

– ومع ذلك – يا رحمة – نحن الاصحاء وهو العليل ، نحن الاقوياء وهو الهزيل ، فاشكر الله على نعمة العافية ... واما بنعمة ربك فحدث !

– اية نعمة تعني يا جاسم ؟ ... انعمة الشقاء الدائم ، والعذاب المتواصل ، وقطع ايام العمر بالتعب المقعد المقيم ، والبلاء الذي هو حمأة الجحيم ؟ !...

– هون عليك ، فغدا تتغير الحال ، وترزق ببنت الحلال ، فتملأ دنياك املا ، وتترعها رجاء وتأتيك بالابن الذي ...

– الذي ... الذي سيعيش مثلي تحت سيف الحرمان وسوط الاشغال الشاقة ... وقبل ان يتم رحمة بن جابر جملته ، قطع الحديث النداء الموجه الى العمال ، للاسراع الى العمل بعد انتهاء فترة الغداء ... وعاد رحمة ورفيقه الى العمل في احد القوارب ، وامسك مسمارا بيد ، ومطرقة باليد الاخرى ، ووضع المسمار على موضع من الخشب لم يحسن اختياره ، كما لم يحسن الضغط عليه ، واهوى بالمطرقة التي انزلقت من المسمار الى اصبعه ، ولكنه صاح بأعلى صوته :

– عيني ... عيني !

وترنح في الهواء ، متماسكا على نفسه :

– عيني ... آه عيني ! ..

لقد طار المسمار فأصاب احدى عيني «رحمة» فأطفأ نورها الى الأبد ! .. وخيم على الورشة صمت كئيب ثقيل ! ...

* * *

ولاح فجر اليوم التالي متنفسا عن يوم قائظ قبل ان تخرج ملكة السماء من خدرها ... ونادى المنادي :

– الى العمل . الى العمل . هاك المطرقة يا علي ... اليك المنشار يا خالد . دونك الالياف يا مصطفى ... وانت ... وانت ... ولكن اين رحمة واين جاسم ؟..

وتطلع العمال بعضهم في وجوه بعض ، بنظرات متسائلة متعجبة حائرة ... في حين لم يبق من السفينة الهندية التي كانت راسية الليلة السابقة في ميناء الكويت غير طيوف بيضاء تخطر على صفحة الخليج ، ثم لم تلبث ان استحالت نقطة صغيرة طواها الافق البعيد ... ولكن هذه النقطة الصغيرة لن تلبث ان تكبر وتكبر ، وتنهض في الخليج العربي حلما سيدخل التاريخ من باب واسع وسيجسم حقيقة يهلع لتصورها الاسبان ، وتتقطع دون ذكرها نياط قلوب البرتغال ! ...

* * *

وراح جاسم يهدهد من آلام رحمة ، ويخفف من عبء مصيبته ، يمنيه بالجاه والثراء ، والحرير الهندي ، والنفائس الصينية ، وما زال يرتفع به ناعما بقصور الاحلام ، حتى كاد ينسى واقعه : يتمه صغيرا ، وبؤسه يافعا ، وشقاوته شابا ، وانطفاء نور عينه بالامس ! ... لقد كاد ينسى ذلك كله بينما كان رفيقه يطوف به في عالم مسحور كأنما ينفذ بريقه في ظلمات الماضي مبددا اياها ، اشراقا عن مستقبل باسم زاهر ...

ولكن لم يلبث ان ومض خيال مسمار في مخيلته فصاح برفيقه :

– كفى يا جاسم ... كفى ... يا ...

وتهادى في مكانه يود لو يمزق العصابة السوداء التي استقرت على محجر عينه اليمنى ... ولكن ايكشف عن تلك السوءة ؟ ! ...

وأصر على اسنانه ألما وحقدا وضغينة ...

* * *

ونما هذا الحقد متمطيا على البحر الخضم ، وما زال الفتى الهائم يغالب الاهوال حتى غدا هولا رهيبا يتجسد في ثلاث سفن ليست كبيرة الحجم ، لكنها سريعة الحركة ، كثيفة الظل ، قاتمة الذكر ، شديدة الوطأة على قلوب البحارة ، نوتية وربانية ، ان نشرت اشرعتها كانت من الغرابيب السود ، لا تلبث ان تداهم زوارق الصيد ، وسفن التجارة ، ومراكب الغوص على اللؤلؤ ، بالخناجر المشرعة ، والسيوف المرهفة اللامعة ، والسكاكين تغمد في صدور ابرياء ...

لقد كان ذلك الحقد الملتهب الشرر المتفجر الغيظ ، من العين الشريرة الوحيدة ، مرادفا لشبح الضياع والموت ، فاليتم والتشرد ...

وخاف الآباء على اولادهم ، والنساء على فلذات اكبادهن ، تود كل منهن لو سكنت قلب الصحراء على جمر الرمال ، ومهامه القفر ، وذل الحاجة ، على ان تكون من سكان الشواطىء يدهمها في ليلة ضريرة النجم ، مسودة الجلباب ، الخنجر المشرع ، يلمع نصله على بريق عين واحدة ، ثم تمتد يد قاسية جبارة تجذب بين ناشب اظفارها ، الطفل الوديع من حضن امه ، والغادة الحسناء من كنف والديها ، ولا يعتم ان يسوق الطفل رقيقا والغادة سبية ..

وتتكرر المآسي ، وتتعدد الاحداث ، وتليها المحن ، وسكان السواحل قلوب واجفة ، ونفوس جازعة خائفة ، لا يرهبها شيء غير ذلك القرصان المرهوب الجانب ، الذي تضطرب لذكر اسمه الفرائص ، وتنخلع القلوب ، والذي اتقن فنون القتال واساليب الاغتيال ، مما جعله سيد البحر ، من مياه بحر العرب الى متلاطم امواج المحيط الهندي ، حتى لكأنه سيف القضاء وسهم القدر ، لا شيء يشبع نهمه ، ولا حد يقف دون مبتغاه ، عدته السفن ، ورعيته بحارته ، اما المراكب التجارية فهي الزاد الذي يتبلغ ، والطرائد التي يقتنص . اما هو فعقاب شرس مخيف ينشر جناحيه على البحر ، وينفض قوادمه على البر ، في هجوم خاطف تعقبه الأنات والزفرات ، لا تؤثر فيه شكوى ، ولا يعطف قلبه البلوى ، الا بقدر ما يهز ثغاء الحمل الجريح قلب الذئب المحدد الناب ! ...

* * *

وقال قرصان مغربي انسلك حديثا في عداد جيش رحمة :

– بالله ما اشد الشبه بينك يا مولاي وبين مولانا خير الدين بربروس ملك البحار ! ...

– وما قصته يا علي ، هل لك ان تروي لنا طرفا منها ؟ ...

– نعم يا مولاي ...

وكانت الريح تهب رخية عليلة ، تنعش صدور البحارة وتملأ رئاتهم صحة وعافية ... وتهادت الاشرعة على صفحة الماء اجنحة حمائم بيضاء ، مرخية قوادمها لبنات البحر على الاغنيات المرحة ، فيما راح صوت علي يأخذ سبيله الى مسمع سيده . ودوى صوت القائد مجلجلا :

– سكوتا ايها الاخوان ، فلنصغ جميعا لحديث اخينا علي عن القائد بربروس .. وتحول البحارة الى جوارح مرهفة ، في آذان صاغية ، وقلوب واعية ، وانطلق علي قائلا :

– لم يكن خير الدين غير قرصان صغير ، يعيش في كنف اخيه علوج على الشواطىء الجزائرية ، يخافهما الاسبان ، ويخشى جانبهما الانكليز والفرنسيون ، الجميع يدفعون الاتاوة ، والكل يخضعون ، وملكا البحر سيدان لا يمنع عنهما مال اراداه او غنيمة شاءاها ... وحدث ان طلب اهل «بجاية» من الاخوين شد ازرهم في حربهم مع الاسبان ، فسارعا لنجدتهم ، ونازلا الاسطول الاسباني ، فكانت الحرب سجالا ، ثم يمما شطر مدينة الجزائر المستغيثة من اوار نار الاسبان ، فاحتلاها ، وأصليا قلعة بنون الاسبانية البحرية بنار مدفعيتهما فدكا ابراجها واخرسا حاميتها ... نازلهما الاسبان برا فغلباهم ، وناجزوهما بحرا فلم ينثنيا

دونهم ... وقد قتل علوج ، ولكن بربروس حكم الجزائر ، وثبت ملكه على البر ، مثلما بسط سيطرته على البحر ، ثم كان قائد الاسطول العام للدولة العلية ، يتردد اسمه في انحاء الامبراطورية العثمانية ...

وصمت علي قليلا ثم قال :

– واعلم يا مولاي ألا سيطرة لانسان على البحر ما لم يثبت قدميه في البر ...

وغرق رحمة في حلم عميق الغور ، بعيد مرمى الهدف ، يستعرض ماضيه ، ويستجلي صفحة مستقبله ، ومستقبل اولئك الآلاف الذين هم رعيته ..

وضرب الصمت برواقه على ذلك المدى من الامواج التي لا نهاية لامتدادها ...

* * *

وفي اليوم التالي لحديث علي ، وما قصه من اخبار بربروس ، وقف رحمة على مقدمة سفينته وفي يمينه حسامه المسلول ، ثم صاح برجاله المتأهبين المتوثبين :

– الى الامام ايها الشجعان ، الى البر ايها الابطال ، فلنثبت اقدامنا فيه ، ولنرفع راياتنا على بطاحه !

وهكذا خاض رحمة ورجاله معارك كان يحالفه فيها النصر تارة وتدور عليه الهزيمة حينا آخر ، ولكن هذا الرجل الفولاذي الاعصاب ، الحديدي القلب ، لم يكن بالذي يسلم بالهزيمة او يسكن حتى ينتزع لنفسه النصر من براثن اعدائه .

وفي جلسة من جلسات الراحة ، وقد ارتفع علم رحمة عاليا خفاقا على اليابسة ، سأل القائد جنديه الاثير على قلبه الحبيب الى نفسه :

– كيف ترى الامر يا علي ؟ ...

– على ما يرام يا مولاي ... هكذا تبنى الممالك ، وكذلك كان يعمل بربروس ، ويتصرف علوج ...

وربت القائد على كتف جنديه الامين قائلا ، وهو يغالب فكرة سوداء مرت بخاطره :

وقانا الله نهاية علوج يا علي ، فلم تجاوزتها اذ قصصت علينا اخبار خير الدين ؟ ... انني اعرفها تمام المعرفة يا علي ، ويعرفهما كل قرصان يا جندي الباسل الامين ... اتريد ان اقصها عليك يا ابن الشاطىء الجزائري ؟ ...

وتطلع رحمة قليلا الى الافق البعيد ثم اخذ يحدث جنده عن نهاية علوج ذلك القرصان الذي روع الاسبانيين دهرا طويلا ، فقال :

لقد نازل علوج الاسبان برا فلم يتغلب عليهم ولم يقهروه فنقل المعركة الى البحر ، خائضا معهم حربا انتحارية لم تجد فيها البطولة فتيلا ، وسقط البطل قتيلا ... وتمكن الاسبان من السيطرة على الموقف ، وتدمير سفينة عدوهم ، والنزول على ربابنتها بالسيوف والخناجر ، واخذوا جثة القائد القتيل فمثلوا بها ، وفصلوا عنها رأسها ، ثم ارسلوه الى وهران حيث طيف به في الاسواق ، ليستقر اخيرا على سور المدينة ، بعثا للارهاب ، ونشرا للذعر ...

وصمت لحظة ثم قال بنبرة حادة :

اعلم يا علي ان مصير القرصان واحد من اثنين : الصدر او القبر ، ولا ثالث لهاتين الحالتين ، وليس ارحب من البحر لنا قبرا ! ...

– مد الله بحياتك يا مولاي ...

– ليس الكريم على القنا بمحرم ! ... تلك شرعتنا يا علي ورحم الله عنترة الذي سنها لنا !

وارتفع صوت من بعيد يردد قول السموأل :

تسيل على حد الظباة نفوسنا
وليست على غير الظباة تسيل

وخيم على مجلس رحمة بن جابر سكون عميق ...

وفي اصيل يوم اعتدل جوه ، واضاءت حواشي افقه ، وانعقد عليها السحاب رقيقا شفافا ينفذ منه شلال من النور ، دافقا لطيفا ، مبهجا للنفس ، منعشا للروح ، احس رحمة بالحنين الى البحر ، والشوق الى ركوب متن الماء ، بعد ان هجره فترة غير قصيرة ، وطفق يستعرض المعارك التي خاض ، والغارات التي شن ، فهاجته ذكرى الأيام الخوالي والليالي العاصفة ، وأمر بتجهيز سفينته الخاصة ...

وما ان دجا الليل ، حتى كان رحمة على مقدمة السفينة وهي تشق به عباب اليم ... ولكن لم يلبث ان انقلب تفتح نفسه الى انقباض ، وانشراح صدره الى هم ثقيل ، وحدث نفسه بالنكوص على عقبيه ، ولكن اينقض القائد ما ابرم ، ويعود عما اعتزم ؟ .. ذلك امر لم يعرف عنه ! ..

واندفعت السفينة في عرض البحر ، رافعة راية رحمة بن جابر ، تشق عباب الماء ، وتجري في بحر ساج ، هدوءا في قلب الهدوء ، وصمتا في ضمير الصمت .. ورحمة واقف في المقدمة يستجلي الافق بعينه الحزينة ، وقد دار في رأسه اكثر من سؤال يبحث عن جواب ، ثم شعر بالهم يثقل صدور مرافقيه فأخذ يبث فيهم من روحه ، يضرم فيهم ماضي العزيمة ، ويمنيهم باليسار والغنيمة .

ولاح له من بعيد شبح سفينة خالها الطريدة التي ستقع في شباكه ، فأوعز لرجاله ان يتهيأوا للوثوب ويستعدوا للانقضاض ... واقتربت السفينتان احداهما من الاخرى ، وصاح رحمة برجاله :

– النار ... النار ! ...

وجاء الجواب من السفينة الاخرى نيرانا أصلى وشواظا أشد ، وتبع هذه السفينة سفن عديدة كانت ترافقها وقد بادرت الى نجدتها ...

وزمجرت المدافع ، واستحالت الظلمة في ذلك المدى من ميدان التراشق الجهنمي نورا متوهجا ... وهم رحمة بالفرار ، ولكنه ابى ان يحمل عبء هذا العار .. فصاح برجاله :

– احسنوا التسديد ، وردوا بالحديد على الحديد ، وبالنار على النار ...

واخذت الاشلاء تتناثر في الهواء ، وما هي الا جولتان خاطفتان واختاهما ، حتى تقصف صاري السفينة ، وتهادت الاشرعة ممزقة محترقة ! ...

وادرك رحمة انه خسر المعركة ... ورأى السفن المنتصرة تدنو من سفينته لتجمع الاسلاب ، وتشد بسلاسلها الرقاب ... واستشعر مصير بطل البحر علوج ، فسرت في جسمه قشعريرة باردة هزت اوصاله وكادت تهدم كيانه ... وتراءت له اشباح ضحاياه ، فأحس بالندم ، وتمنى لو يستطيع التكفير عما اثم .. ودمعت عينه الوحيدة معلنا التوبة ، طالبا الى ربه الغفران ... ولكن كيف يكون استغفار القرصان ؟ ! ...

أخذ رحمة مشعلا بيمينه ، وقد عزم على امر ذعر له الجميع ، وتقطعت له نياط قلوبهم ، ولو شاءوا لردوه عنه ، وصدوه عن انقاذه ، غير انهم تذكروا العهد الذي قطعوه له يوم انسلكوا في امرته ، وساروا تحت رايته ... لقد اقسموا له بالطاعة افرادا وجماعة ، ولسوف يموتون معه مستسلمين لحكم القدر الرهيب ! ...

ولكن رحمة ما لبث ان صرخ فيهم آمرا اياهم بمغادرة السفينة في قوارب الانقاذ ، وكان امره حاسما مخيفا فلم يسعهم الا الاذعان له ، ولم يبق الى جانبه غير جاسم ذلك الصديق الوفي الذي رافقه منذ ايام طفولته الشقية وابى الا ان يشاطره قدره ، ويشاركه مصيره حتى النفس الاخير ! ...

ورنا رحمة الى جاسم في لوعة مرة وقال :

– انها النهاية المحتومة التي ما كان لي ان انتظر نهاية غيرها ... لقد اعماني الحقد فأضلني سواء السبيل ... وبدلا من ان اعمل على اصلاح المجتمع الذي اساء الي ، رحت احاول الانتقام منه والتمثيل به ... وخيل الي اني اسير في طريق البطولة المكلل بالغار ... ولقد استطعت ان اجسد الشجاعة العربية حقا ، ولكن البطولة العربية فاتتني ايها الصديق ... لان البطولة هي المروءة والشهامة والفداء... واين انا من تقاليد بلادي السمحاء ، ومما نصح به ابو بكر لرجال جيشه اذ قال لهم : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكلة ! ...

وتراقصت اضواء المشعل على وجه رحمة بن جابر في تلك الليلة الرهيبة من سنة ١٨٢٠ ، فبدا شاحبا متقلصا بارز العظام ، كأنه مثال للالم والندم وعذاب الضمير ... ثم سار مترنحا ، والمشعل في يده ، حتى دنا من مستودع البارود ...

وسرعان ما تطايرت السفينة شظايا متناثرة في الفضاء ، متهادية على سطح الماء ...

وكان البحر في اليوم التالي ساجيا هادئا . تتهادى الاشرعة على صفحته ، مارة بحطام سفينة من بقاياه قميص ممزق فيه لطخ من البارود وبقع من الدم ... فنظر قائد السفن المنتصرة الى القميص الممزق طويلا ، ثم حول نظره نحو الافق البعيد ، وهو يردد بكآبة لا تأتلف مع اشراق ذلك الصباح الجميل :

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
تقوم مقام النصر اذ فاته النصر !

الملحمة العربية «٦»

النشيد السادس

عُمر بن الخطّاب

للشاعر الدكتور زكي المحاسني

أآلُ عَديّ في قريشٍ تُسامرُ ؟ وُجنحُ الدّجى فوقَ النديّ ستائرُ
وقوم تكمّوا بالحديد ، عيونُهم لأذوبِ فتكٍ ترتمي وتُحاذرُ
توسّطهم نَدبٌ طُوالٌ مُفوّهٌ يُديرُ عليهم رأيهُ ويُشاورُ
يعدّ لمَغداهُ وسيلةَ بطشةٍ تدوّي عليها في دراه العشائرُ
فهل عُمرُ الخطّابُ يمشي بدعوةٍ لحربِ رسولِ الله والبغيُ ظاهرُ ؟

* * *

رويدكَ كم قضّيتَ ليلكَ هاجساً وفيكَ خصامُ القلبِ والعقلِ دائرُ
تصدّكَ حيناً عُصبةٌ جاهليّةٌ لها في ضلالِ العُنجُهيّةِ زاجرُ
وتهديكَ روحٌ نضّرَ الطهرُ وجدَها الى مَسمعِ القرآنِ والصوتُ هادرُ
أبوكَ من الأبطالِ علّمكَ الوغى ومن جدّكَ القاضي «نُفيلٍ» بوادرُ

* * *

وراح رسولُ الله يفكّرُ في الدّجى بشهمٍ به الدّينُ الحنيفُ يؤازرُ

تمرّدَ ، حتى الصّخرُ لانَ ، وما انثنى
وجاءَ اختهُ تتلو من الآي سُورةً
وقالت : عدوّ الله أنتَ ، تلومني
فحط على تلكَ الصّحيفة عينَهُ
اليكَ رسولَ الله جئتُكَ مُسلماً
فكبّر لله الرسولُ بسجدةٍ
لقد نُصرَ الدّينُ الحنيفُ وأصبحتْ
وردّدَ في جوزِ الفضاءِ محمّدٌ :

*

أيا عُمرَ الإسلامِ كُنتَ حمامةً
وزَنْدُك مشدودٌ على سَوطِ دِرةٍ
وعدلُك ، ويحَ العدلِ ، ان جاءَ مسمحاً
تعاورَ فيك العدلُ والبأسُ والندى
فيا أمّةَ فيك التقتْ بوحيدها
أأسطورةٌ قد كنت في الرّوحِ والحِجى
وفيك على حفظ المُروءةِ غيرةٌ
فديتك والتمثيلُ عانٍ وصُورتي
نشرتَ على الاسلامِ رُشدَ خلافةٍ
فأُسمِعتَ شكوى أيّمٍ يعرُبيّةٍ
تناديك للجُلّى وتجهلُ من ترى
على قِدرِها الأحجارُ تغلي تخادُعاً
فقلتَ اصفحي عن ذنب من عند ربّه
وعدتَ اليها تحملُ البُرّ جاهداً
أيا جابرَ القلبَ الكسيرَ لعاثرٍ

*

ويومٌ أتى الرّوميّ فيه مُلاقِياً
خليفتكُم ، انّي أتيتُ مسلّماً
خُذوني الى قصرٍ حواهُ مُمرّدٌ
فقالوا تعالَ انظُرْ اليه مُمدّداً
وسادتُه قبرٌ لدى ظِلّ نخلةٍ
فقالَ : أقام العدلَ صاحبُ أمرِكُم

*

ومرّ بليلٍ فاحميّ مُوسوسٍ
تناغت بها غيداءُ في لوعة الهوى
أيُمسي فتىً من دأبه الجهلُ والخنا
الى البصرة المنفى فما من جريرة

*

أيا عُمرَ الأعمارِ عدلُكَ واحدٌ
وبابنِكَ في الذنبِ المُقارفِ شاهدٌ
أقمتَ عليه الحدّ لا حدّهُ انثنى

وبات بعدوان الرّسول يُجاهرُ
فجندلَها فاستعصمَت لا تُغادرُ
على الهَدْيِ ؟ يا من ضلّلتهُ الكوافرُ
وهبّ الى جمعِ الرّسولِ يُبادرُ
أنِرْ بَصَري يا من فداهُ البصائرُ
هي الرّمزُ يُزجيه الى الله شاكرُ
لقوّته تعنو العتاةُ الجبابرُ
«أيا عبقريّ الفرْيِ» أنت المُناصرُ

*

تنوحُ وفيكَ الليثُ بالبأس خادرُ
لتعلو بها من يفتري ويكابرُ
وأنتَ له في الدهر حامٍ وناصرُ
كما زحمتَ ساحَ العراكِ المغاورُ
لتنصُرَ دينا تفتديه القساورُ
حقيقتُها ذابتَ عليها الأساطرُ
تسامتْ بعلياها النّساء الغرائرُ
مصغّرةٌ والحمدُ فيك مُجاهرُ
وجُلتَ بجوفِ الليلِ والفقرُ ساهرُ
وصبيتُها في الجوعِ صرعى ضوامرُ
فأنت لديها مُذنبٌ متفاخرُ
وهل تُنضجُ الأحجارَ قِدرٌ وجامرُ ؟
سيلقى عذابا ما له الحشر غافرُ
وأكببتَ تُصلي النّار والنفخُ ساجرُ
تُفدّيك في الله القلوب العواثرُ

*

لحشدك ، لكنْ خيّبتهُ المظاهرُ
عليه وعندي في لقاهُ بشائرُ
ليبهرَ عيني عرشُه والجواهرُ
بقيلولةٍ ما نامَ فيها مُحاذرُ
وليس عليه من حريرٍ دواثرُ
فنامَ ، وقد نامت لديه الكواسرُ

*

وأسمعَ أشعاراً لظاها المشاعرُ
بنصرِ بن حجّاجٍ وفيه الأواصرُ .
وتسقُطُ في أحبُولتيه الزّواهرُ ؟
أمرٌ اذا عرضٌ تولاّهُ فاجرُ

*

لأكبرَ ساواهُ البُغاةُ الأصاغرُ
عليكَ بأنّ العدلَ فيك مفاخرُ
لقُربى ولا حنّت عليه الزّواجرُ

ووافاكَ صعلوكٌ تهتّمَ شدقُه ... وضار به المُختالُ عاتٍ وآمرُ
فقلتُ قفا جنْباً لجنْبٍ ففديةٌ ... قصاصٌ بضربٍ مثلِه أو معاذرُ
تكبّرَ عنها عزّةً بمآثمٍ ... «جُبيلةُ» واستشرى عليك يُؤامرُ
وغادر للرومِ العداةِ بجمعهِ ... فيا خسّةَ الخوّانِ يومَ يُغادرُ
وباتَ بقسطنطينةٍ يكرعُ الرّدى ... معَ الكأسِ خُسراناً وظلّ يُقامرُ
الى ان أتى من صوبِ «حسّانَ» نحوهُ ... نجيّ يُدانّي عودَهُ ويُحاورُ
فحنّ الى البطحاءِ وانهالَ نادماً ... ومن دمعه فاضت عليها الهوامرُ

* * *

ويا قولةً هزّت عروشاً وأمّةً ... أتيتَ بها والقولُ من فيكَ آسرُ
غدت شرعةَ الدّنيا على الحقّ والفدا ... يردّدها فينا خطيبٌ وشاعرُ
تقولُ : متى استعبدتمُ الناسَ ويلَكُم ... وقدْ ولدتْهُمْ للإخاءِ الحرائرُ

* * *

ويا وقفةً في منبرِ المسجدِ الذي ... تراءت على علياهُ حربٌ وغادرُ
فصحتَ ، ونورُ الله في العين مشرقٌ ... كأنك في قلبِ المعاركِ حاضرُ :
«أساريةُ» استعصمْ وبالجبلِ استعذْ ، ... فيا لنداءٍ رددتْه المنابرُ
لقد حلفَ الأبطالُ أنّ قريعهُمْ ... ملاَ سمْعَهُ ذاك النّدا المتواترُ
وأزجيتَ للفتحِ الكبيرِ اعتزامةً ... فمِنْ صوبِ آمادِ الشآمِ المعابرُ
«معاويةٌ» فيها يُقيمُ فخارَها ... لمجدٍ به التاريخُ زاهٍ وعاطرُ
ألا يا «ابنَ عوفٍ» قم بنا نحو جلّقٍ ... أميّةُ فيها أطرفتها المقاصرُ
وضمّتْهُما شوقاً دمشقُ وأهلُها ... صحابةُ غسّانٍ وزينتْ منائرُ
فمرّا على صف من الجُندِ حاشدٍ ... لأبواقه في مرتعِ الجوّ زامرُ
– «مُعاوي» هذا منك ، والظّلمُ جاثمٌ ببابكَ ، قد هانتْ عليك الجرائرُ
– فِداكَ أميرَ المؤمنينَ درايةٌ ... فإنّا جوارَ الرّومِ والقومُ ماكرُ
فلا بدّ من راياتِ جيشٍ على الحمى ... ومن زحمةِ المُرّانِ والخطبُ كاشرُ .

* * *

أفاتحَ مصر ما أردتَ توسُّعاً ... ولكنْ حمى للمسلمينَ تُبادرُ
ولا كان لابنِ العاصِ داهيةِ الملا ... بسلطانه تلكَ الضّفافُ الزّواخرُ
ولكنّ للاسلامِ نورُ رسالةٍ ... حملتَ تُقاها والعُداةُ سواهرُ
مشى زحفُها في البيدِ والبحرِ وانبرى ... على مطمحِ الآفاقِ والفتحُ باهرُ
تساوى بنو الانسان تحت لوائها ... وجادتْهُمو الدّنيا وعفّتْ مآزرُ
أقبّلُ في جنبِ «البقيعِ» مراقداً ... وأسفحُ دمعي حيثُ تهفو الخواطرُ
سلاماً على ذكرى المروءة والعُلى ... وقسطاسِ عدلٍ ما لهُ الدّهر ساترُ
تلألأَ تحتَ الشمسِ سيفاً وكفّةً ... على رمزه القدسيّ تُثنى البواترُ
أتى الهرمُزانُ الفارسيّ بغدرةٍ ... وأنفذَها المُغتالُ والمكرُ جائرُ
غُلامٌ تجافاهُ «المُغيرةُ» فارسٌ ... رَعتهُ ، وقد هانت عليه الكبائرُ
فجاءَ بها في خنجرٍ حتفُ طعنهِ ... على جانبي حدٌّ به السّمّ عاقرُ
وغيّبهَ في جنْبِ أروعَ جاهدٍ ... فيا عمرَ الاسلامِ تبكيكَ عامرُ
شهيداً قضيتَ العهدَ والوجهُ ساجدٌ ... الى الله شهّاداً عليكَ المآثرُ
أيُضحي على الاسلامِ ظلّ غمامةٍ ... بُعيدَكَ مُذْ حلّتْ عليه المناحرُ
الى أن لقيتَ السّلمَ والعزّ والجدى ... بدهرِكَ هذا ، وازدهتْكَ المصائرُ .

النخلة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها

بقلم المهندس الزراعي الاستاذ سامي لباده



ينصح خبراء الزراعة بازالة الاشجار الميتة والضعيفة واستبدالها بأشجار افضل نوعا .



يمكن الاستفادة من المساحات الخالية بين اشجار النخيل بزرعها بالخضار او البرسيم .

تُعدّ النخلة من اولى الاشجار المثمرة التي استغلها الانسان القديم ، وقد عرفت منذ ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح . وكانت شعارا للفينيقيين وغيرهم من الشعوب السامية . وجميع الدلائل المتوفرة تدل على ان منطقة الخليج العربي هي منشأ هذه الشجرة المباركة . فقد خلقت لتكون شجرة الصحراء دون منازع لما حباها الله من صفات تؤهلها لذلك . فهي تحتاج الى صيف طويل مرتفع الحرارة يساعد على نضوج ثمرها اذ ان الامطار تمنع التلقيح كما تمنع نضوج الثمر .

ان احسن اشجار النخيل وأطولها عمرا ، تلك التي تتوفر لها كمية كافية من المياه . ومع ان انتاج الثمر يتطلب مياهـا وافرة الا ان النخـلة تستطيع تحمل الجفاف وقلة الماء . وهذا ما جعلها تعيش قبل غيرها في المناطق الصحراوية . وقد يتوقف نموها ، وتنقطع عن الحمل بسبب الجفاف ، الا انها تبقى حيّة ما دامت تستطيع الحصول ، من وقت الى آخر ، على كمية قليلة من الماء ، تساعدها في ذلك جذورها التي تمتد في الارض الى عمق يزيد على عشرين قدما . وبالرغم من ان النخلة تتحمل الجفاف ، فانها في الوقت نفسه تستطيع العيش في اماكن مشبعة بالماء لما تحويه جذورها من فراغات هوائية تؤمن لها الأكسجين الضروري .

أمّا بخصوص التربة ، فان احسن الاراضي لنمو النخيـل هي تلك التي تستطيع امتصاص المياه وتخزينها ، وتكون في الوقت نفسه خالية من الاطباع ، على ان هذه الشجرة تستطيع العيش في جميع انواع التربة . وهكذا فان التربة ليست عاملا هاما يحدد من زراعـة النخيل وانتشاره .

ومما يساعد النخلة على تحمل الاحوال الجوية القاسية في الصحراء ، طبيعة تكوينها . فجميع مراكز النمو فيها تنبع من مكان واحد هو قلب الشجرة الذي يقع في نهاية القسم العلوي من الجذع . فمن هناك يخرج السعف الجديد ، ويظهر النبات ، وتنمو الشجرة . وجميع هذه الاشياء تبدأ في النمو داخل الشجرة في مكان بعيد عن تأثير عوامل الطبيعة المختلفة ، كالحر والجفاف ... حتى اذا ما خرجت من هذا الحصن المحاط بالاوراق والالياف تكون قـد بلغت درجة من النمو تساعدها على مقاومـة الاحوال الجوية التي تحيط بها .

أمّا الاقنية التي تحمل الغذاء من الجذور الى القسم العلوي من الشجرة فيحميها ، من الجفـاف والحرارة الشديدة ، اطراف السعف القديمة والالياف المحيطة بها . ويغطي السعف قشرة خارجية سميكة تحميها طبقة شمعية تجعل تبخر الماء عبر الاوراق اقل منه في بقية الاشجار ، كما تجعل الاوراق اشد مقاومة للرياح والرمال .

نلاحظ مما تقدم ان النخلة تملك كل مؤهلات الحياة في الواحات فلا عجب اذن اذا اقترن اسم الواحة باسم النخلة . الا ان النخلة لم تعط هذه الاهمية من قبل سكان الصحراء ، لمجرد انها اقدر على الحياة في الواحات من غيرها من الاشجار ، بل لان الفضل يعود اليها في سكنى هذه الواحات ، فهي الشريان الحيوي للواحة ولسكان الواحة ولولاها لما كان هناك واحات . فقد اعطت سكان الواحات الكثير من الغذاء ، وأمنت لهم الكثير من الحاجات ، مقابل اخذها القليل من العناية .

فاذا نظرنا اليها من الناحية الغذائية ، وجدنا بان ثلاثة ارطال من التمر تكفي لاعطاء الانسان الطاقة الحرارية التي تلزمه للقيام بعمله اليومي . والتمر من هذه الناحية ، يعتبر انفع الفواكه قاطبة ، فهو يحتوي على ثلاثة ارباع وزنه سكرا ، والسكر مادة سهلة الهضم تتحول بكاملها الى قوة حرارية . وبالاضافة الى السكر ، فان التمر يحتوي على كمية كافية من المعادن امثال الحديد والبوتاس والكلس كما يحتوي على كمية من الفيتامينات امثال فيتامين (أ) وفيتامين (ب١) و (ب٢) . فاذا ما شملت وجبة الغذاء التمر وحليب الناقة والخبز ، استطاع الانسان ان يؤمن لنفسه غذاء كاملا . وعلاوة على ذلك ، فان نسبة السكر العالية تجعل من الصعب على الجراثيم العيش على التمر . ومن جهة اخرى فان التمور لا تحتاج الى عناية كبيرة لخزنها ونقلها كما هو الحال مع باقي الثمار ، مما ساعد سكان الواحات على الاحتفاظ بهذا الغذاء من الحول الى الحول دون مشقة . وقد قيل ان زوجة ساكن الواحة بامكانها تقديم التمر الى زوجها وأولادها ، لمدة شهر كامل ، باشكال تختلف يوما عن يوم ، ولعل في هذا القول شيئا من الحقيقة .

فاذا كانت النخلة قد امنت لساكن الواحة غذاءه اليومي ، فانها ايضا امنت الغذاء لحيواناته ، اذ كان يعتمد على التمر وبذوره ، لتأمين العلف للماشية .

وبالاضافة الى الناحية الغذائية ، فان النخلة قد امنت لسكان الواحة سلعة يستعملونها لتأمين حاجاتهم الاخرى وللمقايضة بها مع باقي البلدان . وقد قيل أن القدماء كانوا

يستعملون النخلة في اكثر من ثلاثمائة وستين حاجة . فجذعها مثلا كان يستعمل في بناء سقوف البيوت ، وركائز الجدران ، والابواب ، والسلالم ، والمدارج الى الآبار ، ولرفع الماء ، ولصنع الارائك والجسور . اما اطراف السعف التي تتصل بالجذع ، فقد كانت تستعمل كوقود ، كما كانت تستعمل في مجاري المياه . واستعملت الالياف التي تحيط بالجذع ، في صنع الوسائد والفرش والمساند . اما الجريد فكانوا يستعملونه في سقوف الاكواخ ، وفي اقامة الحواجز حول البيوت وحول الزرائب ، وفي صنع الاقفاص ، كما كانوا يستعملون الخوص في صنع الحصير ، والسلال «وشماريخ» العزق في صنع الالياف والحبال ، والشوك بدلا من الدبابيس ، وغير ذلك من الحاجيات .

فلا عجب والحالة هذه اذا ما رأينا النخلة تأخذ طريقها الى قلوب سكان الواحات ، فيعتبرونها شجرة الحياة ، ويحترمونها الى درجة متناهية ، فاذا بالشعوب السامية التي خرجت من جزيرة العرب ، تحمل معها بذرة النخيل لتغرسها في مواطنها الجديدة ولتأخذها شعارا لها ، واذا



تتطلب شجرة النخيل العناية لتعطي ثمرا جيدا ، ويبدو هنا مزارع يرش النخيل بأحد مبيدات الحشرات .



الخس يعطي منتوجا جيدا اذا غرس حسب الشروط المطلوبة في المساحات الخالية بين اشجار النخيل .

بالامم التي عاصرتها ، واحتكت بها تجاريها في هذا الاحترام . فاستعملها المصريون لتغطية قبور ملوكهم ، كما اعتبرها اليونانيون رمزا دينيا ، وزينوا برسمها معـــابدهم وأماكن سكنهم . ووضع القرطاجيون رسمها على نقودهم ، كما اعتبرهـــا الرومانيون رمزا للنصر ، فكانوا يقدمون السعف للمنتصرين في ألعاب الفروسية ، ويزركشون برسمها ثياب الاباطرة .

ولم يستطع العربي اثناء الفتوحات الاسلامية ان يكون بعيدا عن هذه الشجرة المباركة فحمل معه التمر اينما ذهب وغرس البذر اينما حل ، وبذلك انتقلت النخلة الى شمال افريقيا ، ومن هناك حملها طارق بن زياد الى الاندلس ، ومن بعده حملها الاسبان الى امريكا .

الا ان هذه الشجرة ذات الماضي المجيد ، في ازمة اليوم ، لان سنة التطور لا ترحم ولا تعترف بالماضي . فهي في الوقت الحاضر تتطلع الى المستقبل بقلق ، بعد ان ابى عصر النهضة الصناعية ومدنيتها الحديثة لتخرج الناس من عزلتهم وتؤمن لهم كل طلباتهم وحاجياتهم في كل بقعة من بقاع الارض . بيد ان هذه النهضة نفسها امنت لهم دخلا جعلهم قادرين على الحصول على



منظر لمعمل تعبئة التمور في الاحساء وهو يعبىء التمور بالطرق الصحية الحديثة .

هذه الطلبات والحاجيات . فاذا بالحديد والخشب والاسمنت والقطن والبترول وغيرها تأخذ مكان النخلة في بناء البيوت ، وصناعة الارائك والسلالم ، والابواب والجسور ، وفي تأمين الوقود وغيرها ، واذا بالفواكه والخضار الطازجة والمحفوظة تملأ كل مكان ، وفي متناول ايدي اكثر الناس . وبالاضافة الى ذلك فان التمور لم تفقد مركز الافضلية بين غيرها من المأكولات والفواكه فحسب بل قل من يرغبها ، وأعرض عنها اقرب الناس اليها . وهذا يرجع الى تمسك المشرفين والمتعاملين بالتمور بالطرق البدائية في انتاجها وتسويقها . فعنصر النظافة اصبح اليوم عاملا مهما في حياة الناس ، وصار يصعب على كثير منهم ان يأكلوا التمر وهم على علم بالطرق غير الصحية التي يجهز بها .

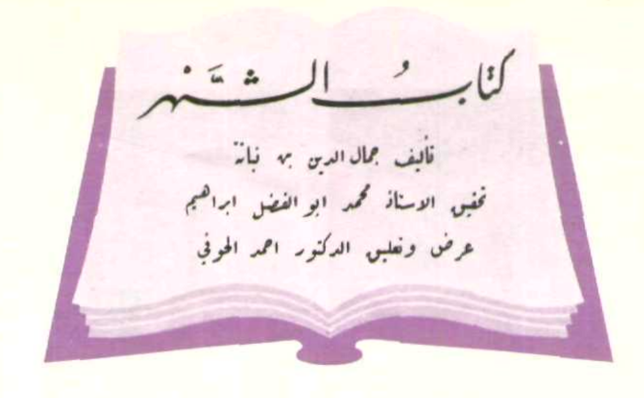
لذلك يجب ان نضع نصب اعيننا ، وحالة التمور تتدهور من سيء الى اسوأ ، ان هناك دخلا قوميا ، وثروة زراعية في طريق التدهور نتيجة الاهمال ، وهذا شيء لا يمكن التغاضي عنه خصوصا وان اكثر الاراضي الزراعية ، في المنطقة الشرقية ، وفي غيرها من المناطق ، تعتمد الى درجة لا بأس بها على النخيل .

والحل الوحيد لهذا التدهور هو تطوير هذه الزراعة الآن حتى لا يقضى عليها في المستقبل ، وهذا يتطلب اهتماما جديا بالشجرة وانتاجها وتسويقها . ان الكثير من اشجار النخيل اليوم ، خصوصا في المنطقة الشرقية ، يعيش في اماكن مشبعة بالماء على مدار السنة ، مما جعل انتاج الشجرة في كثير من الاماكن يهبط الى ثلاثين رطلا ، وهذا دون ما يجب ان تنتجه النخلة بكثير . وبالاضافة الى ما ذكرنا فان كثيرا من الاشجار الموجودة الآن هي من الانواع غير المرغوبة ، او انها مصابة بأمراض تجعلها عاجزة عن الانتاج المثمر .

واول ما يجب عمله الآن تجفيف اراضي النخيل عن طريق حفر مصارف فعّالة تزيل المياه الزائدة ، وتدنّي مستوى المياه الجوفية الى ابعد حد ممكن ، واستبدال الانواع الرديئة والاشجار الضعيفة والمصابة بأغراس جديدة من انواع يسهل تسويقها ، واتباع طرق تقدمية في تسميد اشجار النخيل وسقايتها ومكافحة آفاتها والعناية بها .

(البقية على الصفحة ٤٩

يجب ان يفرش التمر على اشياء نظيفة تمنع وصول الرمل والاوساخ اليه قبل تعبئته .



للصّديق المحقق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم جهود قيمة مشكورة في تحقيق التراث العربي ونشره . وآخر ما حققه في هذه الايام شرح ابن نباتة لرسالة ابن زيدون الهزلية ، وهي رسالة جديرة بالشرح والتحقيق والتعليق والدراسة .

ولقد يكون من الضروري في تقديم هذا التعليق ان اوجز الباعث لابن زيدون على تحبير هذه الرسالة . وذلك انه كان يحب ولاّدة بنت المستكفي بالله ، آخر خلفاء بني امية ، وكان الوزير ابن عبدوس ينافسه في حبها ، فأراد ان يستميلها اليه ، فبعث اليها امرأة تذكر لها محاسنه ، وتغريها بمواصلته ، فعلم ابن زيدون بذلك ، فكتب هذه الرسالة على لسان ولاّدة ، وبعثها اليه عقب رجوع المرأة ، فبلغت منه كل مبلغ ، واشتهر ذكرها ، وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولاّدة الى ان انتقل ابن زيدون الى اشبيلية .

بعد هذا التمهيد اعرض للتحقيق في هذه الفقرات .

— ١ —

اختار الاستاذ ابو الفضل من مخطوطات الرسالة ثلاث نسخ ، ومن مطبوعاتها نسخة واحدة هي التي قام بتصحيحها الاستاذ حمزة فتح‌الله سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) ، وعلى هامشها تعليقات كتبها المصحح .

ورجع الى المصادر التي اوردها ابن نباتة في شرحه ، ليستوثق من صحة النصوص المنقولة مثل مفردات الراغب الاصفهاني ، والأغاني ، وجمهرة الأمثال ، والبيان والتبيين ، وغيرها من كتب التاريخ والادب واللغة ودواوين الشعر .

— ٢ —

وعرّف بابن نباتة تعريفا مفصلا في نحو خمس وعشرين صفحة ، اعتمد فيه على نحو عشرين مرجعا . وبهذا اضاف الى آخر طبعة اخرجتها مطبعة الحلبي سنة ١٩٥٧ مجهودا جديدا مهمّا هو التعريف بالشارح وانتاجه .

كما عرف بكثير من الاعلام الذين ذكرهم ابن نباتة في ثنايا شرحه ، مثل ابن جهور ، والمعتضد ، والمعتمد ، وابن حيّان ، وابن بسام ، وابن عبدوس .

— ٣ —

وشرح كثيرا من الكلمات المحتاجة الى شرح ، مثل الأيم بمعنى الحيّة في قول ابن زيدون :

وليلــة وافينـا الكثيب لموعـد .. سرى الأيم لم يعلم لمسراه مزحف

ومثل يعفور الفلا اي الظبي في قوله :

تهادى أناة الخطو مرتاعة الحشا .. كما ربع يعفور الفلا المتشوّف

ومثل كلمة (مواصى) جمع مواصة وهي غسالة الثياب في قول

سرح العيون
في
شرح رسالة ابن زيدون
تأليف
جمال الدين بن نباتة المصري
٦٨٦ — ٧٦٨ هـ
تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم
الناشر
دار الفكر العربي

ابن نباتة ان ولاّدة مرّت يوما بدار ابن عبدوس ، وأمامه بركة تتولد من مواصى وأقذار (صفحة ٢٣) . والكلمـة بطبعة الحلبي (مراحيض وأقذار) . ومثل كلمة (الوراط في صفحة ٢٧) في الحديث الشريف : «لا خلاط ولا وراط» والوراط ان تجعل الغنم في وهدة من الأرض ، لتخفى على جامع الصدقة ، مأخوذة من الورطة ، وهي الهوة العميقة في الأرض . ومثل ما جاء في وصف اهل الكوفة (صفحة ١٠٥) انهم نزلوا في الانهار العذبة ، والجنان المخصبة ، وفي مثل عين البعير ، وكالحوار في السّلى . فشرح (في مثل عين البعير) نقلا عن الفائق بأنه شبّه بلادهم في خصبها وكثرة مائها بحدقة البعير ، لأن الحدقة توصف بكثرة الماء ، وقيل انه اراد ان خصبها دائم لا ينقطع .

وشرح (كالحوار في السّلى) بأن الحوار الفصيل اول ما يولد ، والسّلى الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من الناس والابل والخيل .

وهكذا ازال الغموض عن كلمات كثيرة كانت بحاجة الى توضيح .

ومن وسائل التبيين والتوضيح انه ضبط الكلمات التي يعوزها الضبط ، وأكمل الابيات الناقصة ، ومن ذلك ان ابن نباتة ذكر قول رؤبة «فأصبحوا في ورطة الأوراط» .

فأتم ابو الفضل البيت من ديوانه :

نحن جمعنا الناس بالملطـاط فأصبحوا في ورطـة الأوراط

— ٤ —

ثمّ صنع للكتاب فهارس متنوعة ، تيسر الرجوع اليه والاستفادة منه ، تناولت الموضوعات واللغة والخطب والوصايا والرسائل والأمثال والأشعار وأنصاف الأبيات والأرجاز والأعلام والقبائل والأمم والفرق والأماكن والبقاع .

وختم الكتاب بذكر الكتب التي وردت اسماؤها في شرح ابن نباتة ، وأرقام الصفحات التي وردت فيها .

ثم ذكر الكتب التي اعتمد عليها في تحقيقه وشرحه وتعليقه على شرح ابن نباتة .

— ٥ —

ولقد استرعى انتباهي ان الاستاذ لم يعلق على ما ذكره ابن نباتة من ان ولاّدة بنت المستكفي كتبت على كمّها او على تاجها بيتين من الشعر هما :

أنــا والله اصــلح للمعــالي وأمشي مشيتي وأتيــه تيهـا
وأمكن عاشــقي من لثم ثغري وأعطي قبلتي مــن يشتهيهـا

وأكتفي بأن نقل من الذخيرة لابن بسام انها كتبت البيت الاول على احد عاتقيها ، وكتبت البيت الثاني على عاتقها الآخر .

وكنت اوثر ان يكون تعليقه نفيا لهذا الخبر او تشكيكا فيه ، لان البيت الثاني يصورها امرأة هلوكا ، مستهترة باللذة ، مستهينة بالعرف والأخلاق والدين ، متجرئة على العفة والتعفف معا . وهذا يناقض حياء المرأة مهما تكن طبقتها ، ويناقض مكانة اميرة من البيت الأموي ، كان ابوها خليفة الى زمن قريب من هذا التهتك .

وليس يصلح تبريرا لهذا انها كانت كما قال ابن بسام : (على انها ، سمح الله لها وتغمد زلتها ، طرحت التحصيل ، وأوجدت الى القول فيها السبيل بقــلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتهـــا) لان ابن بسام نفسه قال : (ان افراد الشعراء والكتاب كانوا يعشون الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، وأنها كانت تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب) . واذا كانت قد تسمحت في صلتها بابن زيدون ، ثم بابن عبدوس ، فان ذلك غير الاباحة العامة التي يصورها البيت الثاني . واني كلما قرأته تصورت امرأة حسناء مزدانة متبرجة واقفة في الطريق تعرض على الناس مفاتنها ، وتدعوهم الى تعشقها ، وتغريهم بتقبيلها ، لا تردّ احدا من الرواد ، فأشعر بتقزّز من هذا التصوير الذي لا يليق .

ورأيي ان البيت الأول قد يكون صحيحاً بالنسبة اليها ، لانه ضرب من الزهو يليق بها ، ولا ينافي طبيعة الأنوثة فيها ، اما البيت الآخر فهو منحول لها ، ومزيد عليها .

— ٦ —

ولقد كان من الخير ان يكتمل التحقيق بكلمة عامة عن رسالة ابن زيدون ، وبموازنة بينها وبين رسالة التربيع والتدوير للجاحظ ، وبعض فقرات من تهكم ابي حيان التوحيدي بابن العميد وابن عباد في كتابه (مثالب الوزيرين) ، وبكلمة مفصّلة عن قيمة شرح ابن نباتة ، وما اشتمل عليه من دراسات وأخبار مفصلة ، جعلت منه سجلا ثقافيا متنوع الألوان ، وهل كان شرح الأعلام والأشعار والأمثال يحتمل هذا التفصيل الذي فصّل والتطويل الذي أطال ؟

والذي يقرأ رسالة ابن زيدون يشعر بأن طابعها السخرية من ابن عبدوس ، والاستهزاء بصفات الكمال التي نسبتها اليه المرأة التي اوفدها الى ولاّدة ، او التي كان يدعيها لنفسه ، أو التي تخيل ابن زيدون انه ادعاها ، ولم يقتصر ابن زيدون على الاستهزاء بهذه الصفات المدعاة ، بل وصفه بأقبح النعوت ، ثم زجره عن التطلع الى ولاّدة ، لانه احقر من ان يصلح لها ، وهي بهذا تثير الضحك ، وبخاصة من المقابلات والمفارقات وابرازها في معارض ساخرة ، اذ صوره كالقزم الضئيل الذي لبس اردية واسعة من الكمال والفخامة فتعثّر فيها ، فصار اضحوكة ، ثم خلعها عنه ، وكشف عن مقابحه وجسّمها وبالغ فيها ، فأظهره اضحوكة اخرى .

وقد ملأها بالاقتباس والتضمين ، واستطاع بمهارته ان يلائم بينها وبين تعبيره ، حتى ليخفي على القارىء — اذا لم يكن عالما بالجمل المقتبسة — ان في الرسالة ما ليس لابن زيدون ، ففيها كثير من جيد الشعر ورائع النثر وبارع الحكمة وسائر الامثال ، وكثير من الحوادث التاريخية وأسماء الأعلام من اجناس وأزمان وأصقاع ومذاهب شتى ، وهي بهذا شديدة الشبه برسالته الجدية التي استعطف بها ابن جهور . وقد يؤخذ على ابن زيدون اشياء ، منها انه ذكر موازنة لا وجه لها كقوله : «ورجّح بين مذهبي ماني وغيلان» ولا معنى لهذا الترجيح ، لان ماني فارسي اصطنع لنفسه مذهبا دينيا من الزرادشتية والمسيحية ، ودعا الى الزهد ، وحرم الزواج ، وأما غيلان فانه جهر بمذهب القدرية في العصر الأموي ، ويقال انه اول من قال بحرية الانسان واختياره . ومما يؤخذ على ابن زيدون انه كان مدفوعا بغيرته المشبوبة وحنقه الشديد ، فأفحش بذكر العورات والأمثال البذيئة ، وكان الاحرى ان يعف عن ذكرها ، رعاية لمكانة ولاّدة التي كتب الرسالة على لسانها ، وهي فتاة من شريفات القوم لا يليق بها ان يجري قلمها او لسانها بمثل هذه العبارات ، ولا يليق بمن يكتب عنها وباسمها — وان كانت النيابة متخيلة — ان يذكر هذه الاشياء .

ولذلك لم تسلم ولاّدة نفسها من التجريح ، فكانت الرسالة من الاسباب التي افسدت صلتها بابن زيدون . على انه التزم السجع في الرسالة ما عدا قليلا من جملها ، وأطالها بما ذكر من امثال ومترادفات وأحداث وأسماء كثيرة من شعراء وفلاسفة وخطباء وأوغاد ورعاع ومخبولين ، وكان يغنيه ان يمثّل ببعضهم .

— ٧ —

ولقد جرى الاستاذ ابو الفضل على تحقيق النصوص ، ونسبتها الى قائليها ، ولكنه اغفل قول المتنبي في صفحة ٣٧ .

ولســت بــأوّل ذي همّـــة دعتــه لمـا ليس بالنـائـل

فلم يذكر القصيدة ومناسبتها .

وكنت افضل ان يحدد الازمان التي لم يحددها ابن نباتة ، مثل زمن افلاطون ، فانه لا يكفي ان يقال انه كان في زمن أردشير الأول ، ومثل زمن ارسطو وبطليموس وأبقراط وجالينوس وأشباههم ، وبخاصة ان تواريخ هؤلاء صارت معلومة ومدوّنة .

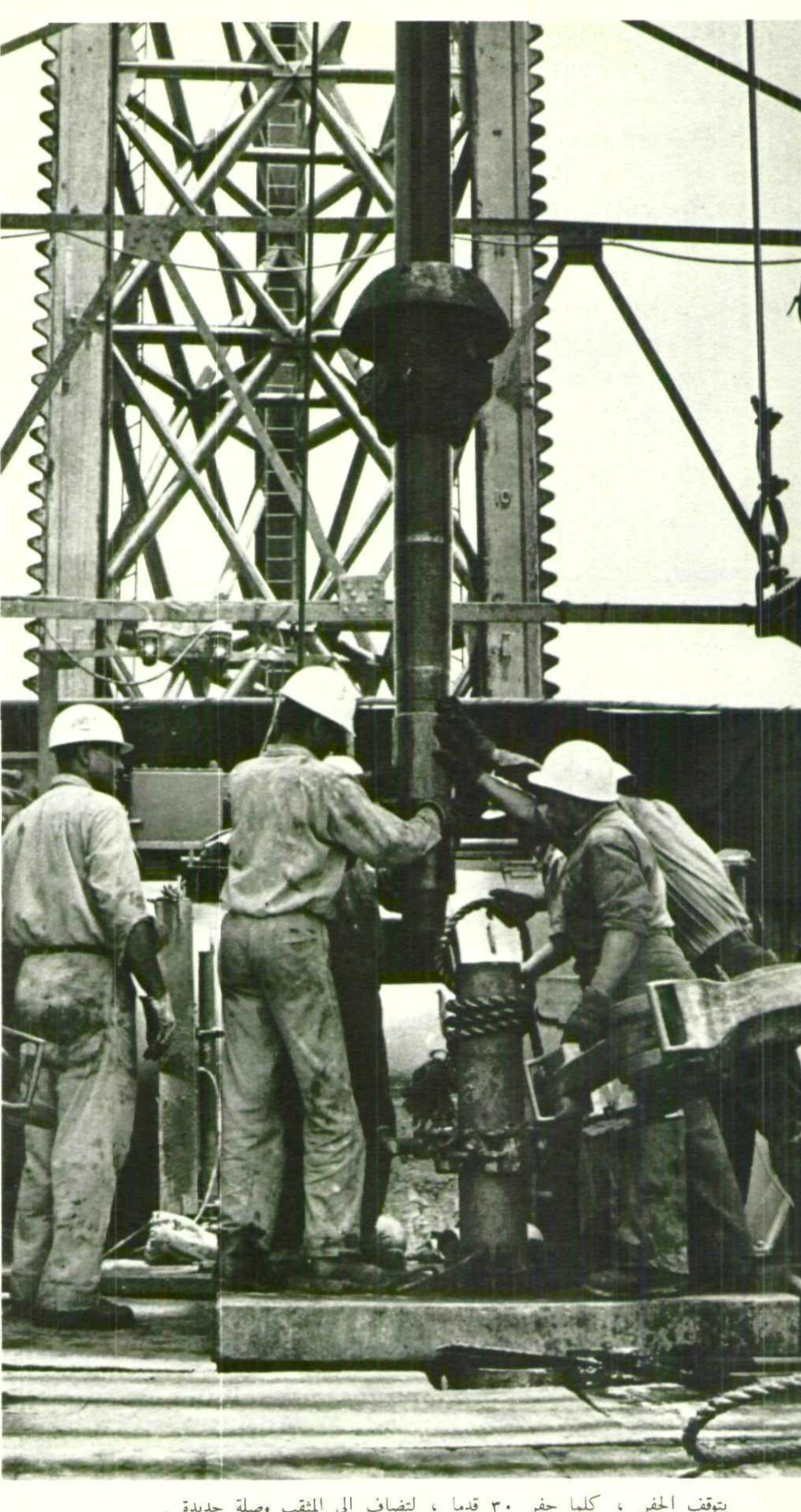
وبعد ، فهذه عجالة طابعها التعريف العام بأثر نفيس شرحه اديب كبير ، ثم حققه استاذ ثقة ، ولست اشك في انه سيتبوأ في المكتبة العربية مكانه اللائق به من التقدير والاحتفاء .

من مكة مع التحيات

الكاتب القاص السعودي الاستاذ لقمان يونس اصدر الحلقة الاولى من مجموعة قصصه بعنوان «من مكة مع التحيات» . وهذه المجموعة الاولى تحوي عددا من القصص الشيقة التي نشرت في مجلة قافلة الزيت ، وهي تصور اوضاعا مستمدة من صميم المجتمع السعودي ، بأسلوب رشيق فيه لمحات فكاهية ساخرة .

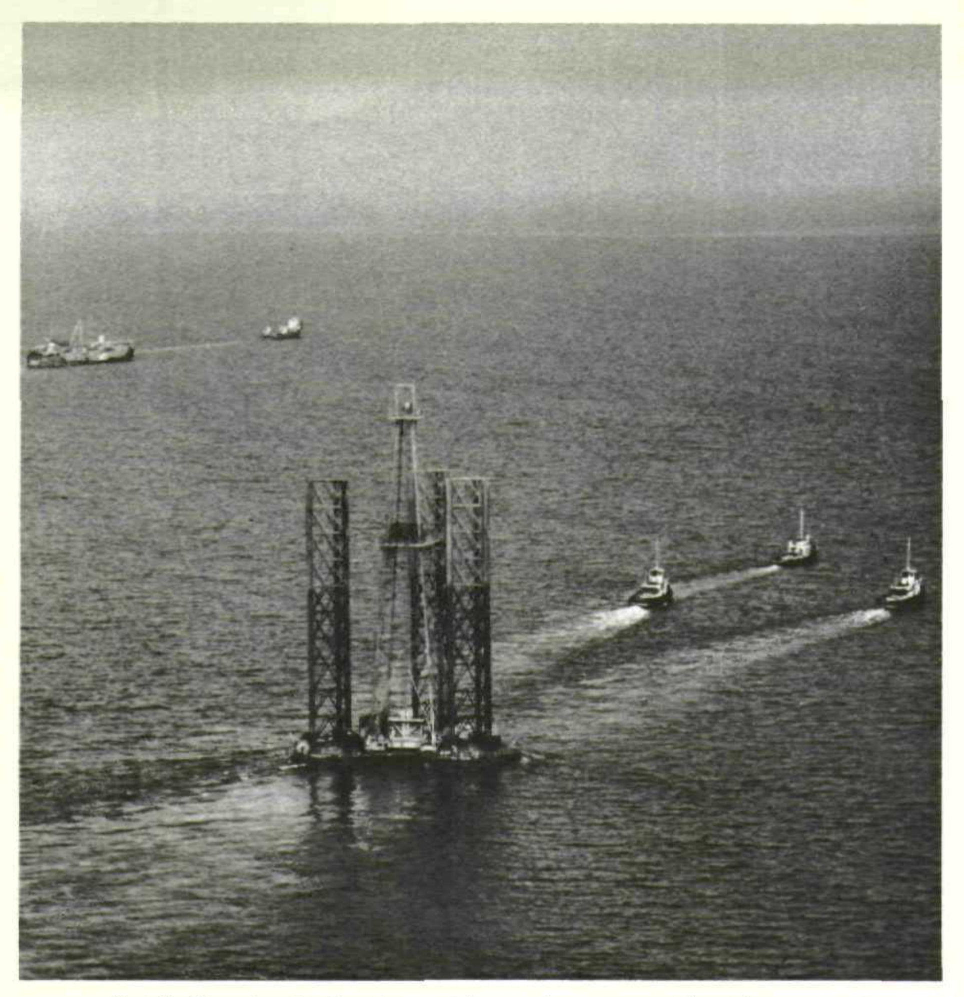
تطوير عمليات الحفر في المناطق المغمورة

يختلف حفر آبار الزيت في المملكة العربية السعودية عنه في كثير من المناطق الاخرى الغنية بالزيت . ففي هذه المناطق يبنى برج الحفر فوق فوهة البئر ، اما في المملكة العربية السعودية ، فينقل جهاز الحفر بكامله عبر الصحراء الى مناطق الحفر المقررة ، وذلك بفضل وسائل النقل الحديثة الضخمة المزودة باطارات خاصة تمكنها من السير في الرمال . فحالما يقرر الجيولوجيون مكان الحفر ، ينتقل البرج الذي يبلغ ارتفاعه ١٣٦ قدما ويثبت في المكان المعين . ثم تهيأ المضخات وأنابيب الحفر والقطع الكثيرة الضرورية الاخرى . ومتى اعد كل شيء ، يقوم العمال بتثبيت المثقب في اسفل انبوب الحفر . ثم يوصل اعلى انبوب الحفر بالطرف الاسفل من المقبض. ثم تعمل الآلات وينطلق مثقب الحفر في طريقه الى الاعماق . ويبلغ طول كل من وصلات انبوب الحفر ٣٠ قدما ، فاذا ما اختفت احداها في الارض ، اوقفت الآلات ووصلت بها اختها لتستمر العملية .



يتوقف الحفر ، كلما حفر ٣٠ قدما ، لتضاف الى المثقب وصلة جديدة .

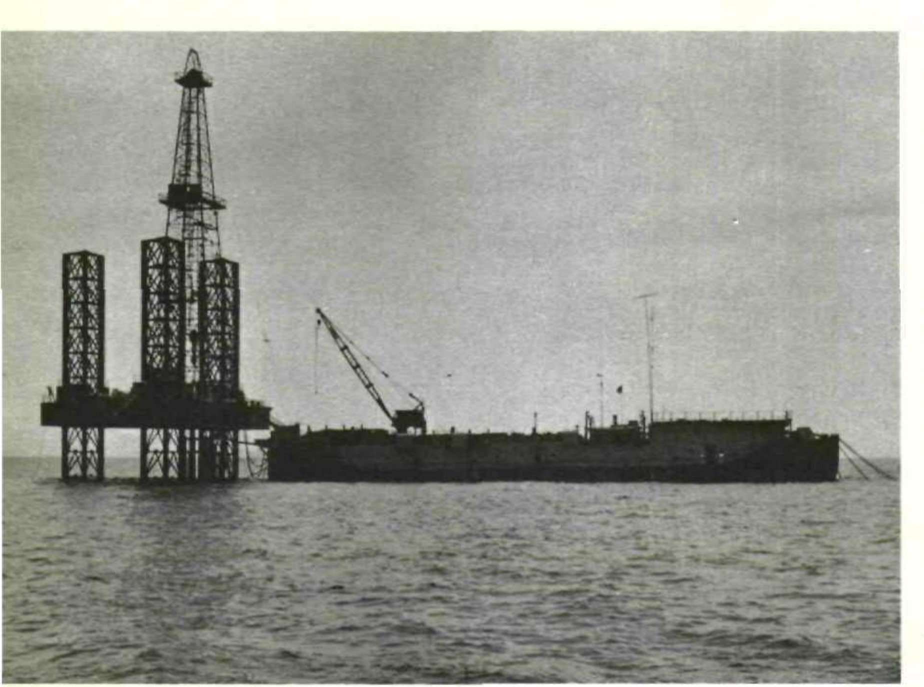
وتتم عملية الحفر على مراحل اولاها حفرة يتراوح عمقها بين ٤٠ و ٧٠ قدما ، وقطرها حوالي ٣٠ بوصة ، ثم يثبت في داخلها انبوب تغليف قطره ٢٦ بوصة ، وتسد جوانب الحفرة بالاسمنت . وبعدئذ يستمر الحفر بحفرة قطرها ٢٤ بوصة الى عمق معين ، ثم ينزل فيها انبوب تغليف قطره ٥/٨ ١٨ بوصة ، يصل حتى فوهة البئر ، ثم يثبت الانبوب بالاسمنت اسوة برفيقه ، ثم يستمر الحفر بحفرة اصغر ، فأنبوب تغليف اصغر ، حتى تنتهي عملية الحفر باكتشاف الزيت او بالتأكد من عدم وجوده في مكان الحفر .. ويمكن الاستمرار بالحفر واستبدال الانابيب حتى يبلغ قطر الحفرة الاخيرة سبع بوصات . وعندئذ يركب في البئر انبوب تغليف قاعي قطره ست بوصات ، يصل مثل اخوته الى فوهه البئر . ويستعمل هذا الانبوب لانتاج البئر ، في حال وجود الزيت فيها ، وفي حال صلاحيتها للانتاج . والآبار على انواع منها التجريبية ،



بعد الانتهاء من عمليات الحفر ، ترتفع قوائم برج الحفر ، ثم تنقله قوارب الجر الى مكان آخر محدد ، لبدء عملية حفر جديدة .



بئر السفانية المغمورة رقم ١٠ حيث تبدو منصة الحفر ذات القوائم الاربع .



برج الحفر في ابي سعفة ، وقد وقف على قوائمه الثلاث استعداداً لبدء عملية حفر جديدة دونما الى منصة .



يصبح انبوب التغليف هذا ، احدى قوائم منصة الانتاج لدى العثور على الزيت .

ومنها التحديدية ، ومنها المنتجة . وجميعها تحفر بالطريقة نفسها .

وكما يجري الحفر في اليابسة كذلك في البحر ، ولدى ارامكو لهذه الغاية قاعدة خاصة يبلغ وزنها دون جهاز الحفر الذي ينصب فوقها ٨٠٠ طن ، ولها ثلاث قوائم تنزل الى قاع البحر بقوة الكهرباء ، ويبلغ طول كل من هذه القوائم ١٢٨ قدما . الا ان عمليات الحفر في البحر تتطلب خطوة تحضيرية سابقة ، هي بناء منصة للبئر قبل المباشرة بعمليات الحفر . وتختلف قوة هذه المنصة وطاقة احتمالها باختلاف عمق الماء ، وباختلاف الغرض منها . فاذا كان عمق الماء لا يزيد على ٧٧ قدما . وهو الحد الاعلى الذي يستطيع جهاز الحفر ان يحفر فيه وهو واقف على قوائمه الخاصة ، كانت المنصة للانتاج فقط ، وكانت تكاليفها بسيطة نسبيا .

ومنصّة الانتاج عبارة عن قاعدة من الحديد ، مستطيلة الشكل طولها ١٧ قدما وعرضها ٩ اقدام ، تبنى على اليابسة ، ثم تنقل الى مكان الحفر مرتفعة قليلا عن سطح البحر ، على قوائم اربع هي عبارة عن انابيب تغرز آليا في قعر البحر بشكل يجعل زوايا المنصة تقع عليها وتفرج قوائم المنصة من اسفل حسب الطلب وذلك زيادة في تثبيتها . ويختلف مدى طول القسم الادنى من الانبوب المغروز في القاع باختلاف عمق الماء ، وباختلاف صلابة تربة قاع المحيط . فاذا كان قاع البحر من الرمل اللين وجب ان يغرز الانبوب مسافة اطول مما لو كان القاع صخريا . وبعد الانتهاء من عملية بناء المنصة ، تنتقل قاعدة الحفر الى المكان المعين ، وتقف على قوائمها فوق المنصة ، ثم تبدأ عملية الحفر من خلال انبوب كبير في وسط المنصة ، سبق اعداده خصيصا لهذه الغاية . اما اذا كانت المياه التي يجري الحفر فيها اعمق من ٧٧ قدما ، اي عندما يتعذر على قاعدة الحفر الوقوف على قوائمها اثناء عملية الحفر ، وجب اذ ذاك بنـــاء منصة حفر متينة خاصة ، تستطيع حمـــل برج الحفر والمعدات الضرورية الاخرى . ويبلغ طول هذه المنصة ٥٠ قدما وعرضها ٣٠ ، كما تبلغ تكاليفها حوالي ٤٠٠٠٠٠ دولار اي ١٨٠٠٠٠٠ ريال سعودي .

ويتطلب تصميم المنصة وبناؤها ، وغرز القوائم التي ستثبت عليها ، وتثبيتها مدة شهرين تقريبا ، وهذا يعني انه بينما يكون برج الحفر ماضيا في حفر البئر الاولى ، يكون العمل جاريا للتحضير للبئر الثانية ، حتى اذا ما انتهى البرج من عمله ، انتقل اليها دون تعطيل او اضاعة للوقت . فبالنسبة لعمـــليات الحفر في الحقول المعروفة والتي سبق ان حددت كالسفانية ومنيفة ، كان اعداد منصات الآبـــار مسبقا امرا مستطاعـــا اذ كانوا يعلمون منذ البدايـــة مواقع الآبار التي ينوون حفرها وبذلك تكون المنصـــات

جاهزة في الموعد المطلوب .

اما في الحقول الجديدة كأبي سعفة مثلا فقد تغيرت الحال ، مما حدا برجال الزيت الى التغيير في اساليب الحفر بشكل يتلاءم ومتطلبات اعمالهم . فقد فرض عليهم هذا التغيير المشكلة التي تعرضوا لها ، وهي انهم عندما يقومون بحفر بئر من الآبار لا يستطيعون التحضير للبئر التي تليها وتعيين موقعها الا بعد ان تظهر نتائج البئر الاولى ، وذلك لان الآبار التي يجري حفرها حاليا آبار تحديدية من شأنها ان تقرر مساحة الحقل ومدى غناه بالزيت ، وهكذا على عمال الحفر بعد حفر بئر من الآبار ان ينتظروا قليلا ريثما تظهر نتائج البئر الاولى ، ومن ثم يمسي بالامكان تعيين مكان البئر الثانية والتحضير لها وهذا يعني تعطيل العمل مدة شهرين تقريبا . وهذه المدة هي اضاعة للوقت بلا طائل ولا سيما والشركة ترغب في معرفة كبر هذا الحقل وطاقته بسرعة ، وضمن وقت محدد . ازاء هذه المشكلة اخذت الدراسات تتسع وتتعمق حتى تمّ النصر ووجد الحل المنشود . فقد استطاع المهندسون ايجاد طريقة جديدة لحفر الآبار المغمورة دون اللجوء الى استعمال المنصة الا حينما يكشف مثقب الحفر عن وجود زيت في البئر التي يجري حفرها ، شرط ان يكون عمق المياه التي يجري الحفر فيها دون ٧٧ قدما اي ان برج الحفر يستطيع الوقوف فيها على قوائمه ومباشرة عملية الحفر . هذا ، وعمق المياه في ابي سعفة ، حيث يجري الحفر ، يتمشى والمستوى المطلوب . وتتلخص هذه العملية في ان يبنى انبوب ضخم طوله حوالي ١٢٠ الى ١٥٠ قدما ، وقطره ٣٨ بوصة من صفائح الحديد الصلب التي يبلغ سمكها بوصة وربع البوصة ، على اليابسة ، ثم ينقل هذا الانبوب الى مكان الحفر .

وبعد ان يكون مثقب الحفر قد حفر حفرة قطرها ٤٢ بوصة وعمقها ٥٠ قدما ، يغرز الانبوب المذكور في الحفرة ، ثم يسد الفراغ حوله بالاسمنت . وهكذا يمسي هذا الانبوب بمثابة غلاف واق تجري بداخله عمليات الحفر ، حتى اذا ما انتهت الحفريات وتبين وجود الزيت بنيت للبئر منصة . اما في حال عدم وجود الزيت ، فيتوفر على الشركة عملية بناء المنصة . وكل ما يجري عمله اذ ذاك هو قطع الانبوب من على مستوى القعر ، لمنع ارتطام السفن به ، والانتقال الى مكان آخر .

ومما هو جدير بالذكر والتنويه ان ارامكو سبقت جميع شركات الزيت الى الاستفادة من انبوب التغليف الجديد هذا كاحدى قوائم منصة البئر ، كما انها اختصرت قوائم المنصة الى ثلاث فقط بدلا من اربع يكون انبوب التغليف المذكور احداها وتغرز اثنتين اخريين بقربه ، تثبت اليهما المنصة . وبهذا يرجى في المستقبل ان تنخفض تكاليف المنصات ، بفضل هذه الطريقة .

وخلاصة القول ان مميزات طريقة الحفر الجديدة هي السرعة . اذ انه بفضل هذه الطريقة يستطاع في غضون ستة ايام فقط ، ودون اي تحضير سابق ، بعد الانتهاء من حفر البئر الاولى ، تعيين موقع البئر الثانية ومباشرة عمليات حفرها . كما انه وفي حال عدم وجود الزيت في الآبار ، يتوفر على الشركة مصاريف بناء المنصة . الا ان هذه الطريقة لا يمكن الاستفادة منها في الاماكن التي يزيد عمق الماء فيها على ٧٧ قدما ، وعندئذ لا مندوحة من بناء منصة قبل مباشرة عملية الحفر .

طرائف

اختبار

اراد رجل ان يختبر امانة خادمه ، فترك جنيها على مكتبه تحت كومة من الكتب ثم خرج . فلما عاد من عمله ، اعاده له الخادم ، فأبى ان يأخذه منه ، وقال : «خذه مكافأة على امانتك .» وتكررت التجربة وفي كل مرة كان يكافىء الخادم على امانته . وذات يوم نسي الرجل محفظة نقوده . فلما عاد لم يجد لها اثرا . وانتظر وقتا ولكن دون جدوى . فلما نفد صبره ، قال للخادم : «ألم تجد محفظة نقودي ؟» فأجاب الخادم بهدوء : «بلى يا سيدي وجدتها ولكن احتفظت بها مكافأة على امانتي .»

مُكافأة

استدعى مدير احدى المؤسسات موظفا يشرف على احد الاقسام فيها وقال له : «ان ارباحنا هذا العام من القسم الذي تشرف عليه قد بلغت ما لم تبلغه في السنوات الماضية ، وذلك كله يرجع الى نشاطك وحسن ادارتك فقد كتبت لك شيكا بخمسمائة جنيه .» فقال الموظف وهو يمد يده ليتسلم الشيك : «اشكرك جدا يا سيدي». وعندئذ اتم المدير حديثه : «واذا سار العمل في العام المقبل على ما يرام كما هو الحال هذا العام ، فانني سأوقع لك الشيك .»



بقلم الاستاذ عبد الله علي با وزير

يرجع النشاط البحري للعرب الى عهود بالغة في القدم ، ومن الومضات التاريخية العابرة نستطيع ان نتبين ألوانا من الحياة التي عاشها ابناء الشواطىء العربية عندما كانوا واسطة العقد في التجارة البحرية بين دول العالم القديم .

فبين القرنين السابع والثاني عشر قبل الميلاد كان للدولة «المعينية» في اليمن مركز تجاري ممتاز بالمحيط الهندي لا يقل رواجا عن مركز الفينيقيين في البحر الابيض المتوسط حينذاك . وقد حدثتنا مؤلفات الجغرافيين القدامى امثال استرابون وكبلينوس وبطليموس وغيرهم عن مدى ما كان للملاحين العرب من نفوذ وسلطان في البحار المحيطة بهم . وكانت مدينة «الشحر» وهي من الالفاظ العربية القديمة ومعناها «الساحل» مرفأ تجاريا تلتقي فيه سفن الهند وفارس ومصر محملة بالسلع الثمينة .

وقد اثبتت رحلة «نيارك» الذي ارسله الاسكندر المقدوني للطواف في بحر الهند ما كان للعرب من صلات وثيقة بسواحل جنوب آسيا حتى ان بعض الموانىء الهندية كانت تطلق عليها اسماء عربية كما كان الربابنة العرب يحتكرون ارشاد السفن في تلك المياه ، وكانت لغتهم هي لغة المصطلحات البحرية السائدة هناك . وذكر «نيارك» انه التقى على شاطىء الهند ، على مقربة من مصب نهر الهندوس ، بقوم يظن انهم من العرب الذين استعمروا تلك البقعة وكانوا يسمون «عربيتو» .

وكذلك اخبر «بلينوس» في القرن الاول قبل الميلاد ان «التبابعة» ملوك اليمن كانوا يتصلون بشواطىء افريقيا الشرقية عن طريق البحر ويضعون ايديهم على تجارتها . وأثبتت النصوص القديمة والروايات المتواترة على ألسن ابناء جزيرة مدغشقر ان جموعا من العرب قدمت الى جزيرتهم واتخذتها موطنا لها منذ عهود سحيقة وأقامت دولة نظامية بشمالها ثم اندمجت في اهل الجزيرة .. وقد بقيت ملامحهم وطباعهم وبعض مفردات من لغتهم القديمة .

وقد ترجم «بونالي كامبا» الى الفرنسية كتابا

ألّفه باللغة السواحلية احد مسلمي جزيرة «فومور» الواقعة بالقرب من جزيرة مدغشقر. ويدعى (السيد عمر) وذكر فيه ان المتواتر لدى بعض اهالي مدغشقر الذين يعتزون بأنسابهم العربية ان اجدادهم وفدوا على الجزيرة قبل الاسلام بزمن بعيد وهاجروا اليها بنسائهم وأولادهم وعبيدهم بطريق البحر الاحمر والمحيط وتبعهم اقوام آخرون ممن كانوا مستعمرين لشواطىء زنجبار.

تطور فن الملاحة عند العرب عمليا وعلميا

دفعت الحمية الاسلامية وحروب الفتح والدعوة الى دين الله عناية الحكومات الاسلامية الى صناعة السفن وتنظيم الاساطيل واحياء المعارف البحرية وتشجيعها. فبدأ الرواد البحريون الذين لم يألفوا السكينة يوجهون طاقاتهم البحرية والعسكرية نحو التجارة والضرب في شتى الآفاق بحثا عن السلع والاسواق واكتشاف موانىء جديدة تتوفر فيها السلع الاوسع ربحا والاكثر جودة ورواجا. وكان من اثر ذلك ان تضاعفت ثقافتهم البحرية وأرباحهم المادية وألموا بخفايا العالم القديم واستطاعوا ان يتعرفوا على مواطن الهلاك في ظلمات البحار ويحكموا تحديدها ويحذروا غيرهم منها. واكتشفوا اسلم المسالك وأقربها الى الموانىء التي تعاملوا معها، وربطوا بين الظواهر الفلكية والطبيعية وفق تجاربهم ومشاهداتهم في تلك البحار، وصححوا المعلومات القديمة التي لا تنطبق على الحقائق البحرية المستقيمة عندما شاهدوا ما يثبت بطلانها.

ولم يعن الملاحون العرب في اول الامر بتدوين تلك المعارف بل اكتفوا بتداولها وتوارثها وتبادل الانتفاع بها شفاهة، على انه قد ورد بعضها في مناسبات عارضة تضمنتها مؤلفات الرحالة وعلماء الجغرافيا وتجار الملاحة البحرية.

وسرعان ما دعت الحاجة الى دراسة فن الملاحة كعلم قائم بذاته، وألفت فيه كتب رائعة اتسمت بطابع الحيوية والتجربة. وقد اقتحم كثير من الربابنة هذا الميدان ودونوا عصارة تجاربهم في كتب بسيطة اللغة ساذجة التعبير ولكنها عامرة بالحقائق البحرية الصادقة.

وقد وضع «ابو القاسم بن خرذابة» دليلا للمسافرين يصف فيه الطريق البحري من مصب دجلة حتى موانىء الصين. ولم يكد ينقضي القرن التاسع الميلادي حتى اصبحت الرحلة الى جزائر بورنيو وجاوة وسومطرة والفلبين من اسهل رحلات الملاحين العرب بفضل دراستهم لمسالكها.

ومن الكتب البحرية التي شاع تداولها في العصر الذهبي للملاحة العربية مؤلفات محمد بن شادان، وسهل بن ابان، وليث بن كهلان، وأحمد بن طروية، وخواشير بن يوسف الاركي، وسليمان المهدي.

ولعل اشهر من كتب في فن الملاحة هو الربان احمد بن ماجد النجدي الذي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي، وترك في ذلك الفن مؤلفات قيمة منها «الفوائد في علم البحر والقواعد» ويشمل دروسا في تاريخ الملاحة وعلاقتها بالنجوم في خليج العجم والمحيط الهندي والشواطىء العربية والافريقية وجزائر سرنديب وبورنيو وسومطرة وغيرها. وله ايضا «حاوية الاختصار في اصول علم البحار» وهي ارجوزة اودعها تجاربه ومعلوماته في هذا الفن.

وقد ورث ابن ماجد تلك الثقافة البحرية التي دعمها بتجاربه عن جده الربان «عمر بن فضل ابن دويك النجدي» الذي ترك رسالة في اصول الملاحة في البحر الاحمر وأوقفها لخدمة سفن الحج وأضاف اليها ابنه مزيدا من تجاربه.

استعمال الخرائط

الى جانب التجارب العملية في فن الملاحة كان العرب على قدر كبير من التفوق في العلوم الفلكية والجغرافية، وكان لهم الفضل في احياء علوم جمدت وحقائق كادت تذوب في ظلمات الجهل. وعلى ضوء معارفهم الجديدة بدأ الجغرافيون يعيدون النظر في الخرائط التي توارثوها فصححوا اشكال الجزر وانحناءات الشواطىء ورسموا خطوط الطول والعرض. وكان الحصول على خريطة عربية لشواطىء البحار الجنوبية اقرب الى اقتناء النفائس النادرة بالنسبة للملاحين الاوربيين. وقد صنع الشريف الادريسي للملك روجر الصقلي خريطة للارض على هيئة كرة، وكان ذلك في اواسط القرن السادس الهجري.. وكذلك رسم شمس الدين بن الوردي المتوفى في اواسط القرن التاسع خريطة على جانب من الدقة اظهر فيها الارض على شكل دائرة.

واذا كان للعرب وحدهم فضل احياء نظريات جغرافية وفلكية قديمة فاليهم ايضا يرجع الفضل في اكتشاف حقائق لم يسبقهم اليها احد. فهم الذين حققوا الاعتدال الشمسي وعينوا مدة السنة تعيينا دقيقا. ويقول «سيدبو» ان رسائل ألفونس العاشر القشتالي الفلكية تثبت بما لا يحتمل الشك سبق العلماء العرب «كبلر» و «كوبيرنكس» في اكتشاف حركات الكواكب السيارة على شكل بيضي.

معرفة العرب تصال المحيطين الهندي والاطلسي

لم تكن فكرة «بارثليمو دياز» و «فاسكو دي جاما» عن امكان الابحار حول القارة الافريقية واتصال المحيطين الهندي والاطلسي غريبة عن معارف العرب، فقد سبقهما اليها كثير من العرب القدماء العلماء في الجغرافيا. وذكر المسعودي في مروج الذهب انه عثر على حطام سفينة من خشب الساج المنقب المحاط بليف النارجيل عند ساحل جزيرة كريت، واستدل من ذلك على اتصال المحيطين لان هذا النوع من السفن لا يستعمل الا في البحار الجنوبية.

كما اشار «ابن خلدون» و «محي الدين التميمي المراكشي» باتصال المحيطين عن طريق الدوران حول القارة الافريقية.

استخدام الابرة المغناطيسية في الملاحة

لم يعرف عن الاوربيين اكتشافهم لخواص الابرة المغناطيسية وقدرتها على تحديد الجهات قبل القرن الثاني عشر للميلاد، ولكنه ورد في كتب الصين الاقدم من هذا التاريخ عبارات تثبت ان خواص المغناطيس كانت معروفة لهم وليس من الصدق ما ينسبه البعض الى فلافيوجيوجا الايطالي من اختراعه البوصلة سنة ١٣٢٠ ميلادية. وقصارى ما ينسب اليه من فضل انه ابتكر طريقة تعليق البوصلة وتثبيت الابرة في لوحة العلامات بينما كان الشرقيون يكتفون بتثبيتها في عمودين متقاطعين، ثم يضعونها في حوض به ماء ويجنبونها اثر الرياح.

وعرف الملاحون العــرب خواص الابــرة المغنــاطيسية واستخدموها في اســفارهم قبل الاوربيين ، وورد ذكرها في مؤلفاتهم البحرية والسياحية القديمة . وذكر «دوزي» ان الملاحين العرب استخدموا السمكة «الابرة» الممغنطة وكانوا يسمونها «قرميط» وربما كانت هذه التسمية نسبة الى السمك القرموط . وقرر ان هذه الكلمة وردت في شعر عربي يرجع الى سنة ٨٥٤ ميلادية ، اي قبل فلافيوجيوجا بنحو ٤٦٦ سنة . وقد اخذ الاسبان هذا الاختراع عن العرب وسموه «كالانيدا» كما سماه البرتغاليون «كالانيتا» .

ولعل اقدم وثيقة تثبت سبق استخدام الملاحين العرب للابرة المغناطيسية هو المخطوط العربي «كنز التجار في معرفة الاحجار» لبيلق القيجاقي الذي توجد منه نسخة بمكتبة باريس . وقد ذكر في صحيفة ٦٨ «ان رؤساء بحر الشام اذا اظلم عليهم الجو ليلا ولم يروا من النجوم ما يهتدون به على تحديد الجهات الاربع يأخذون اناء مملوءا بالماء ويحترزون عليه من الريح بأن ينزلوه الى بطن السفينة ثم يأخذون ابرة وينفذونها في سمر ويلقونها في الماء الذي بالاناء المعد لها فتطفو على وجه الماء ويحركون ايديهم دورة الى اليمين فعندها تدور الابرة على صفحة الماء ثم يرفعون ايديهم على غفلة وسرعة فان الابرة تستقبل بجهتيها جهة الجنوب والشمال .»

افادة المكتشفين الأوربيين بتجارب العرب وعلومهم البحرية

لم يحاول احد المؤرخين ان يغمط العرب فضلهم في النهضة باوربا وما تمخضت عنه من اكتشافات رائعة ، ولا شك ان كريستوفر كولومبس قد افاد الى حد بعيد بمؤلفات العرب وخاصة ما جاء بكتاب «صورة الارض» وبما اثارته قصة الشباب العرب الثمانية الذين انشأوا سفينة في لشبونه حملوها بالماء والزاد واقتحموا بها المحيط الاطلسي نحو الغرب ، ثم الجنوب ، حتى بلغوا ارضا مسكونة عادوا يصفونها بعد شهور طويلة ويقصون عنها الاعاجيب . وقد وضعت وقائع تلك المغامرة موضع التحقيق . وكان من رأي العلامة «دانزاك» انهم وصلوا بلا شك الى جزائر «ماديرا» كما رأى آخرون انهم وصلوا الى بعض جزائر «برمودة» او ساحل المكسيك .

مكانة العرب في البلاد التي اتصلوا بها

اتسعت اكتشافات العرب البحرية في بحار الجنوب ووطأة اقدامهم جزائر وشواطىء لم تطأها قبلهم اقدام البشر ، وسبقوا بأجيال طويلة رحالة البلاد الاوربية الذين ادعوا اكتشاف بلاد كانت اسواقها عامرة بالتجار العرب .

وقد وطدت مطامح اولئك المكتشفين الاوائل اقدام القادمين من بعدهم ممن جذبتهم احلام المجد والثراء وأقاموا جاليات عربية كبيرة عزيزة الجانب في شتى الموانىء التي حلوا بها ، ونقلوا اليها دينهم وحضارتهم وصاروا رسلا وسفراء لبلادهم فيها .

ففي الصين وجدت وثائق تثبت وصول النشاط التجاري للعرب الى مرافئها وأطرافها منذ القرن الثامن الميلادي ، وكان اولئك التجار المغامرون يفدون الى بلاط الامبراطور لتحيته ولتقديم بعض الهدايا والنفائس اليه . وقد بلغ من ازدهار العلاقات بين العرب والصين ان بادر امبراطور الصين في ثورة سنة ٧٥٥ ميلادية الى الاستنجاد بالخليفة وتأثر العرب الذين ازدحمت بهم موانىء الصين بنظام المعيشة السائدة هناك وتركوا آثاراً لعل اوضحها وأهمها انتشار الدين الاسلامي ، وظفر المسلمون هناك بأسمى مناصب الدولة .

وفي عهد اسرة «سونج» (بين ٩٦٠-١٢٧٠م) كان يتوارث رئاسة الجمارك رجال مسلمون ، وقد استدعى الامبراطور «هولاكو» والامبراطور «كوبلاي» العلماء العرب ليستفيدوا من ثقافتهم الواسعة .

وذكرت رحلة «ماركو بولو» ما كان للعرب من نفوذ في شتى مناصب الدولة ، كما ورد في رحلة «ابن بطوطة» ان بعض وكلاء السفن الصينية في موانىء آسيا كانوا من العرب . وورد ذكر الشاي لاول مرة على لسان سائح عربي بحري وهو التاجر سليمان الذي طبعت مؤلفاته عن رحلاته في باريس سنة ١٨٤٥ ميلادية وترجمها «رينو» ونشرها تحت عنوان «اخبار قديمة من الهند والصين اوردها اثنان من الرحالة المسلمين في القرن التاسع الميــلادي» وقــد ذكر السائح ان امبراطور الصين يحتفظ لنفسه بالدخل الناتج من نبات يشربونه مع الماء الساخن ويسمونه «ساخ» اي شاي .

ولقد كشفت رحلة ابن بطوطة عما كان للجاليات العربية في شواطىء الهند من امتيازات قضائية وادارية وكانوا لا يخضعون في معاملاتهم لغير احكام الشرع الحنيف ، وكان لكل جالية رئيس يشرف على شئون ابناء جنسه .

ويؤكد «بلاشير» ان الاكتشافات العربية قد امتدت شرق الصين حتى بلغت شواطىء اليابان وسبقت الاوربيين وذكرها «ماركو بولو» باسم «كيبانجو» وهي محرفة عن كلمة اليابان .

كما كانت شواطىء افريقيا مقصدا لزرافات من المهاجرين هربا من الفتن فأسسوا دولتي مقدشو ومبسة ولم تلبث ان تعاقبت طوائف اخرى من الصينيين ، وتخلف بعضهم في جزائر المحيط واستأنف الآخرون رحيلهم الى مدغشقر .

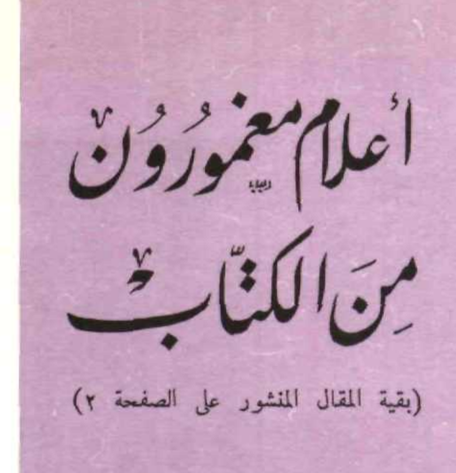
ولم يقف الكشف العربي عند تلك الجزائر والسواحل بل اندفع يقتحم مجاهل القارة . وقد عثر احد رجال الآثار الانجليز سنة ١٩٠٣ على قبر عربي في شمال روديسيا عليه كتابة بخط عربي حميري يثبت ان ذلك المغامر القديم يدعى «سلام» وانه توفي سنة ٩٥ هجرية اي سنة ٧١٤ ميلادية .

وكشفت رحلة «ماجلان» ايضا عن نفوذ العرب في جزائر الفيلبين حيث اذعن الراجا «هومابون» سلطان «سيبو» لنصائح تجــارهم عندما اشاروا اليه الاّ يتورط في نزاع مسلح مع الاوربيين .

وبلغ من نفوذ العرب في «بورنيو» انهم صاهروا امراءهــا وشاطروهم حكم البلاد فخلدهم تاريخها الذي تحدث طويلا عن التاجر العربي «توان سيد» الذي صاهر امير «ديسر» جنوب شرقي الجزيرة ، فأتيح له ان يحتضن الدعوة الى الاسلام وحماية مصالح العرب .

ولا تزال في الجزائر الاندونيسية جالية عربية كبيرة تحتفظ بلغتها وتقاليدها وأصولها وتحرص على الاتصال بموطنها الأول في الجزيرة العربية .

ولعلنا بهذا المقال نبعث الحياة في ذكريات قومية غالية آن لها ان تذرو عنها غبار التاريخ وتجلو عنها صدأ الزمن وتحسر اللثام عن رجال تقدموا الركب وقــذفوا بهممهم ومطامحهم في مجالات الرواد والكاشفين والهداة الأول .



من الشهرة وبعد الصيت . ولا ننسى حافظ عوض وتوفيق دياب ومعروف الارناؤوط ورامز سركيس وجبران تويني ومحمد علي الطاهر واميل خوري وعلي الغاياتي .

ولا ننسى (داود بركات) في الاهرام و (خليل ثابت) في المقطم في خلال سنوات ممتدة لا تقل عن الثلاثين يكتبان الافتتاحيات الضافية في مختلف احداث العالم العربي ويدخلان الى الاسلوب والمضمون العربيين مصطلحات وتقاليد جديدة تأثر بها من جاء بعدهما من الكتّاب .

و (توفيق حبيب) الصحافي العجوز في هامشه الذي استمر ينشره في الاهرام ما يقرب من عشر سنوات ولم يتوقف الا بوفاته ، وهو حصيلة ضخمة من الصور والذكريات والمراجعات لعشرات من دقائق التاريخ والادب العربي الحديث . ولا ننسى احمد ابو الخضر منسي الذي كان يصول ويجول في ميادين الادب والكتابة في صدارة الصحف . ولا ننسى قرياقص ميخائيل عميد مراسلي الصحف العرب في الخارج ، و (احمد شفيق) الباحث الموسوعي الذي قدم لاول مرة الى الفكر العربي (الحوليات) وفيها احصى احداث العام وعرضها من مختلف وجهات النظر ، ووضع (المذكرات) وفيها مشاهداته وهو المرتبط بالاحداث في خلال خمسين عاما عاشها في خضم الحياة السياسية والاجتماعية .

وفي مجال الرحلة نجد (لبيب البتانوني) ومحمد ثابت وقد قضيا العمر على البواخر ، حيث الموارد قليلة ، والمطامح كبيرة في سبيل الاستكشاف ورؤية الدنيا ، ورسم صورة حية لمختلف الاوطان والامم والعادات والتقاليد ولا نستطيع ان ننسى (عزيز خانكي) وما قدمه من ذكريات ومذكرات واستقصاءات في كل مجال من مجالات التاريخ والاحداث .

* * *

وفي مجال الكتابات الاسلامية ، نذكر الشيخ (التفتازاني) ، وقد عاش يكتب حديث الصيام سنوات في جريدة الاهرام ، وفي العلوم (نقولا الحداد) الكاتب العربي الذي نشر مئات من المقالات عن العلوم الحديثة والكواكب والاجرام ، متابعا في ذلك طريق (ابرهيم اليازجي) ، وله عشرات المقالات عن فلسطين مكتوبة على نحو علمي دقيق .

ويبدو الفكر العربي في صورة من البيان المشرق والعبارة البليغة في كتابات مصطفى الغلاييني وعبد العزيز الثعالبي وعبد العزيز شاويش ، وهم من انبغ كتاب العربية ولكن لا يذكرهم اليوم احد .

اضف اليهم (امين سامي) صاحب موسوعة (تقويم النيل) وصادق عنبر ، ووحيد الايوبي ، وأحمد الاسكندري في مجال التحقيق اللغوي ، ونور الدين مصطفى وهواويني في مجال بلاغة الخط العربي وطنطاوي جوهري في مجال الدراسات الاسلامية المرتبطة بالفلك والروح ، والدكتور احمد فؤاد في مجال دراسات الوحدة النيلية ومحمود الخفيف في دراسات التاريخ ، و (محمد تيمور) رائد الفن المسرحي ، وعادل زعيتر ومحمد مسعود ومحمد بدران وعباس حافظ ومحمد السباعي وسامي الجريديني في مجال الترجمة ، حيث قدموا كثيرا من الآثار النافعة .

وعشرات من الاعلام الذين عاشوا على وقع الصدى منا مغمورين لانهم لم يحسنوا اساليب الدعاية ، ثم نسيهم الناس من بعد ، وغابت آثارهم في اعماق التاريخ ، دون ان تجد من يراجعها او ينفض عنها التراب او يقومها من جديد ، وهذا واجب حتم يتعين على اجيالنا ان تؤديه انصافا للتاريخ وللعاملين من رجاله الافذاذ .

ولست استطيع ان احصي هذا العدد الكبير من الاعلام المغمورين في مجال الفكر والادب والكتابة ، ولا سيما الذين لقوا منهم وجه ربهم .

وعقيدتي ان هؤلاء قد قدموا الى الفكر العربي المعاصر ثروة ضخمة ، وأوقدوا عديدا من المصابيح التي ما زال اهل هذا الجيل يستضيئون بها ، ويستبطنون آثارها وفضلها ، دون ان يذكروا منشئيها او مصنفيها ، فقد كان لهم اثرهم (اولا) في تطوير الاسلوب العربي وترقيته وتخليصه من المحسنات البديعية والسجع (ثانيا) تقديم خلاصات من الفكر الغربي في عشرات من النظريات والمذاهب (ثالثا) تعريب جوانب التاريخ والعلوم والفنون المختلفة في موسوعات ودوائر معارف (رابعا) رسم صورة للأقطار والشعوب والامم من خلال الرحلات والاسفار (خامسا) تحقيق عشرات من قضايا الفكر والمجتمع والسياسة والآثار (سادسا) تجديد التراث العربي الاسلامي باحيائه وبعثه ونقده وتحقيقه .

* * *

واذا كانت قد مرت فترة في حياة الفكر العربي المعاصر يمكن ان توصف بالنسيان والاغضاء بالنسبة لهؤلاء الرواد المغمورين ، فان الدلائل كلها تدل على ان موجة جديدة من محاولة الاعتراف بالفضل قد اخذت طريقها في عشرات من الدراسات الجيدة الجديدة عن هؤلاء المغمورين ، فقد ظهرت اخيرا دراسات عن شكيب ارسلان (امير البيان) والزهاوي وأحمد حلمي وأحمد زكي (شيخ العروبة) والهمشري وابراهيم ناجي وسيد درويش وأحمد محرم وكامل كيلاني . كما ظهرت دراسات عن احمد الشارف (الشاعر الليبي) والطاهر الحداد (المصلح التونسي) وعشرات من الدراسات عن شعراء المهجر ، وفي يقيني ان هذه الموجة ستستمر وتتسع وستشمل عشرات من اعلام الادب والفكر المغمورين . وسيكون لهذا العمل فضله المزدوج .

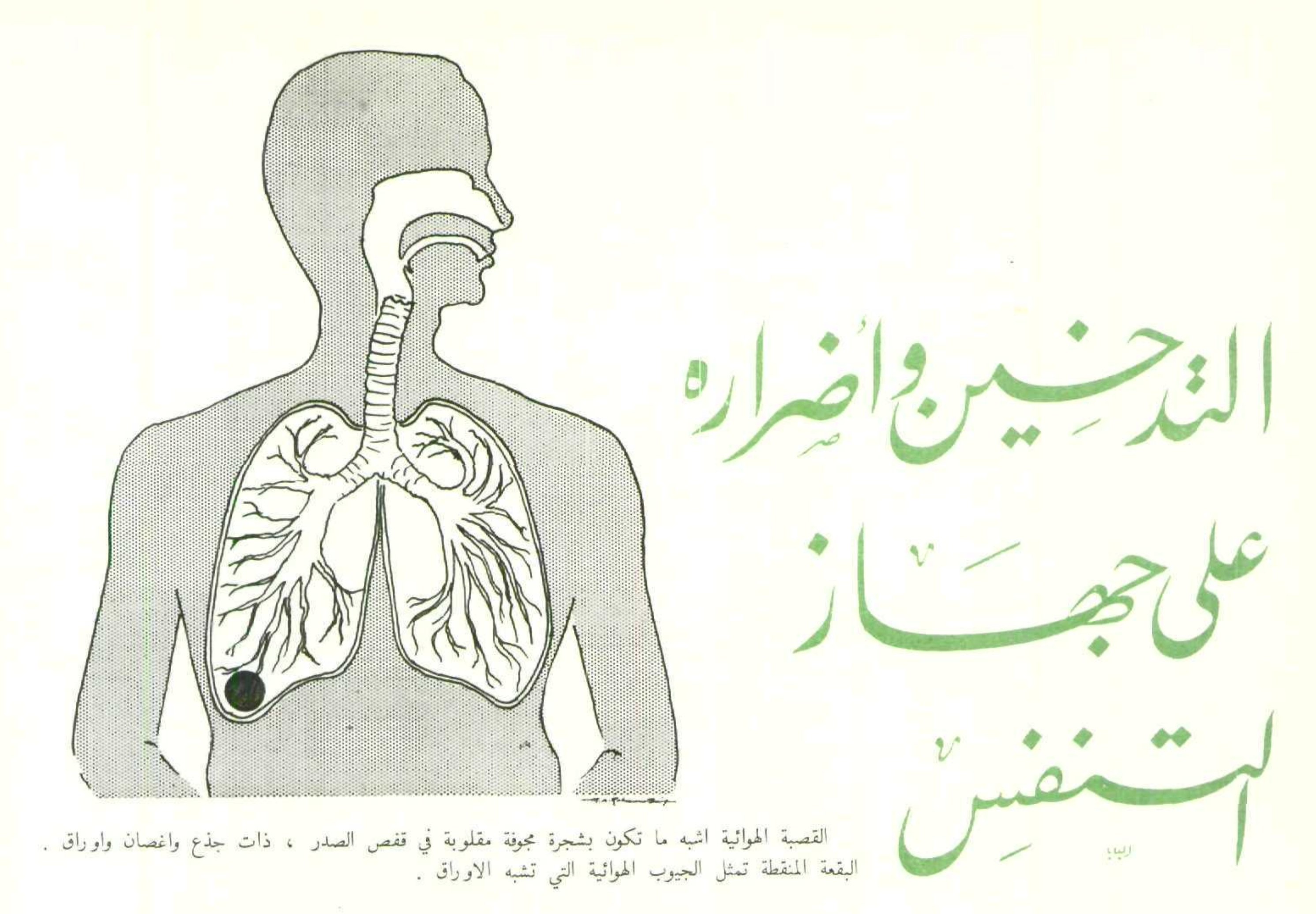
(اولا) في التعريف بهؤلاء الاعلام ، واداء دين الجيل الحاضر للماضي ، في تكريم من كافحوا وجاهدوا في سبيل شرف الكلمة .

(ثانيا) في فتح الآفاق على حصيلة ضخمة من الفكر العربي الاسلامي ، انطوت فجأة ، وعلاها التراب ، ولما تذهب بعيدا في التاريخ .

ولا شك ان هذا الاحياء لاعلامنا المغمورين وآثارهم عمل نافع سيزيدنا قوة واصالة ، ويحقق هدفا من ابرز اهداف اليقظة العربية وهو «بناء» الفكر العربي على «اساس» من قيمه الحقيقية ومعالمه الاساسية .

ولو خيرت ان احمل رسالة في دنيا الادب اتخصص لها وأتجرد ، وأهبها كل جهدي ، لما رغبت في انبل من رسالة البحث عن المغمورين من رجالنا وكتابنا ومفكرينا ، هؤلاء الذين حالت الاحداث دون ان يبرزوا او يأخذوا مكانهم الحق .

التدخين وأضراره على جهاز التنفس



القصبة الهوائية اشبه ما تكون بشجرة مجوفة مقلوبة في قفص الصدر ، ذات جذع واغصان واوراق . البقعة المنقطة تمثل الجيوب الهوائية التي تشبه الاوراق .

الدلائل العلمية الثابتة ، المتعلقة بتدخين السجائر ، وامراض الجهاز التنفسي ، تدعو الرأي العام الى تأمل عادات التدخين وعواقبها الوخيمة . وقد اهتم الاطباء والعلماء ورجال الصحة العامة بالعلاقة القائمة بين تدخين السجائر وبين ازدياد الامراض الرئوية ، كسرطان الرئة ، والالتهاب الشعبي المزمن ، والتهاب الرئة والذبحة الصدرية . فماذا تعرف عن تدخين السجائر والامراض التي يسببها كالسرطان الرئوي وغيره ؟ اننا لا نعرف الكثير عنه ، لكننا نعلم ان تدخين التبغ يسبب حالة من الحساسية المزمنة وتعطيلا في خلايا الرئتين . وبامكاننا فهم المزيد من ذلك لدى وصف جهاز التنفس الرئوي وكيفية عمله .

يمكن تشبيه جهاز التنفس بشجرة مجوفة مقلوبة في الصدر رأسا على عقب ، جذعها القصبة الهوائية التي تظل مفتوحة وقاسية بفضل حلقات غضروفية في جدرانها ، واغصانها هي شعب القصبة الرئوية التي تستمر في التفرع حتى تصبح شعيبات رقيقة تشبه اعناق اوراق الشجرة . ويتفرع من هذه الشعيبات جيوب هوائية بيضاوية الشكل ، يجري فيها امتصاص الاوكسجين وافراز ثاني اوكسيد الكربون .

وقطر هذه الشعيبات صغير جدا ، يتراوح بين ١/٥٠ و ١/١٠٠ من البوصة ، وجدرانها رقيقة يمكن ضغطها . ولا يوجد في نهاية الشعيبات حلقات غضروفية تبقيها دائما مفتوحة ، وانما يتم ذلك بواسطة الياف رئوية مرنة تحيط بالشعيبات . ويتغير قطر هذه المجاري الهوائية بانتظام اثناء عملية التنفس ، فتتسع عند الشهيق وتضيق عند الزفير .

وجهاز التنفس هذا ، الذي يمتد من الانف الى الشعيبات ، مزود جميعه بجهاز تنظيف فعال يقيه استنشاق المواد المثيرة للحساسية ، والمواد الغريبة المتعددة الاخرى . فهو مغطى بمادة مخاطية رقيقة واقية متحركة باتجاه الحنجرة بطريقه شبه موجية تقوم بها شعيرات متعددة دقيقة شبيهة بالفرشاة تدعى الخمل (Cilia) او الاهداب . وتفد المادة المخاطية من القصبة الرئوية الى الحنجرة فتلفظ او تبتلع . وتقدر كمية المادة التي تنتجها الغدد المخاطية في غشاء الممرات الهوائية المبطن بثلاث اوقيات يوميا . والاهداب في الشخص الصحيح العادي لا تجد صعوبة في التخلص من ذلك المخاط .

انما الغرض من هذه الطبقة المخاطية الواقية فهو : حفظ الخلايا المبطنة للشعيبات الرئوية من الجفاف ، ووقايتها وهو الأمر الاهم بالنسبة لنا . فهي تعمل اشبه ما تكون بمصيدة الذباب ، تلتقط الغبار والبكتيريا والشوائب الاخرى التي تدخل الممرات الهوائية اثناء التنفس ، ثم تطردها خارج القصبة الهوائية .

وجهاز التنظيف هذا يعمل عادة بسرعة كافية لمنع معظم البكتيريا من المكوث والتكاثر . بيد انه اذا حدث ما يعيق او يمنع عملية التنظيف هذه ، فان الجهاز يتعرض للعدوى والاضطراب . ويتوقف مدى خطورة هذه العدوى ، على نوع الجرثومة وعلى مدى بطء عملية التنظيف . فبرودة مفاجئة ، او جرعة ماء باردة او رطوبة شديدة كفيلة بأن تعيق عملية التنظيف ، وتسبب الزكام ، او التهاب الحنجرة او الالتهاب الشعبي او النيمونيا .

وتدخين السجائر كما نعلم يؤثر على عملية التنظيف هذه من ناحيتين اثنتين : الاولى انه يؤخر او يشل تماما وظيفة الشعيرات الهدبية ، والثانية انه يثير حساسية تكون السبب في زيادة افراز الغدد المخاطية . وهكذا تتجمع المادة المخاطية ، لتسد المجاري الهوائية وتسبب المزيد من الالتهاب وتؤدي الى العدوى والى العطل الدائم .

ويمكن ملاحظة كيفية تأثير تدخين السجائر على عملية التنظيف من خلال التجربة التالية :

اولا فتحت قصبة هوائية لبقرة مذبوحة حديثا ، ثم نثر على غشائها المبطن ذرات دقيقة من الكربون ، يلاحظ بعدئذ ان هذه الذرات تأخذ في التحرك باتجاه الطرف الاعلى من القصبة الهوائية مثل قافلة من النمل . فاذا ما نفث نفثتان من الدخان على الغشاء المبطن ، يلاحظ ان هذه

الذرات تتوقف عن الحركة نهائيا مدة خمس الى ثماني دقائق . ويحدث هذا التوقف نتيجة شلل في الغشاء المبطن يحدثه دخان السيجارة .

اما بالنسبة للانسان ، فتبقى الحركة متوقفة داخل القصبة الهوائية ، طالما يدخلها الدخان .

فاذا ما توقفت تلك الحركة داخل الشعيبات الرئوية الدقيقة ، كما يحدث غالبا ، يتعذر عندئذ دخول الهواء اليها ، ما لم تكن هذه الشعيبات في اقصى اتساعها . واثناء الزفير تضغط جدران هذه الشعيبات على المادة المفرزة فتحول دون خروج الهواء .

وبمرور الوقت ، يتجمع الهواء المحتجز خلف الممرات الهوائية المسدودة فيسبب انتفاخا في الجيوب الهوائية . ويحدث نفطا هوائية كبيرة في الرئتين ، وبالتالي يصبح مجال التنفس اصغر فأصغر ، بينما تصبح الرئة اضخم واكثر انتفاخا ، واقل اقتدارا على التنفس . وهذه الحالة تؤدي في بعض الاحيان الى تضخم قفص الصدر ، كما تؤثر على انتظام عملية تنفس الحجاب الحاجز . وفي هذه المرحلة يتعذر تلافي العطل الذي يحدث للرئة .

كلنا نعرف اشخاصا مارسوا التدخين مدة تتراوح بين ٣٠ و ٥٠ سنة دون ان يصابوا بانتفاخ رئوي . فما التفسير العلمي لذلك ، ما دمنا نعلم ان التدخين هو العامل الوحيد الذي يسبب مثل هذا المرض ؟

ان التفسير التالي على ما اعتقد هو التفسير المعقول الوحيد : هنالك تقريبا حوالي ٣٠ الى ٤٠ في المائة من الناس يعانون مشكلة تنظيف في جهاز التنفس تسبب لهم الزكام المتعاقب ، او التهاب الجيوب الانفية .

وقد تسبب الحساسية او التهاب الجيوب الانفية سيلانا انفيا يؤدي بدوره الى كحة مزمنة او يسبب حالات اخطر ، كالتهاب داخل الاذن ، او التهاب اللوزتين ، او التعطيس المتواصل ، او حمى التبن او الربو . وقد تحدث هذه الحالات اما انفرادية او مجتمعة خلال السنين الطويلة منذ الصبا حتى السنوات الاخيرة من عمر الفرد .

وغالبا ما تختفي هذه الامراض في سن الشباب ، لدرجة أن الشخص ربما ينسى ذكرها وهو يروي للطبيب المعالج تاريخ مرضه ما لم يسأله الطبيب عنها بالتفصيل . وقد تبين من خلال تجاربي الخاصة ان الناس عامة يميلون الى التقليل من اهمية امراض الطفولة وتناسيها ، كما يتناسون ايضا الكحة ما لم تسألهم عنها بالحاح ، وعندئذ نعلم انهم يكحون نتيجة التدخين .

يجب على الاطباء معرفة مدى خطورة اية كحة دائمة لأنها امر غير طبيعي ، غير انه لكثرة المدخنين الآن ، يعتبر الناس الكحة امرا عاديا بسيطا . بينما هي بالنسبة لنا نحن الاطباء من اهم الاعراض التي ترشدنا الى مرض الصدر ، ولذلك يجري التحري عنها اذا طالت مدتها عن اسبوعين او ثلاثة .

لماذا يصاب الكثير من الناس بمثل هذه المشكلات التنفسية ؟

يستطيع من يفحص القصبة الهوائية في المصابين بهذه الحالات ، ان يجد غالبا اثر الحالات المزمنة في القسم الاعلى من الممرات الهوائية ، والاهم من ذلك انه يجد المجاري الهوائية تفرز كمية اكبر من المادة المخاطية .

وتكون عملية التنظيف عادة ، في الشخص الذي تفرز غدده كمية كبيرة من المادة المخاطية ، بطيئة جدا ، لان هذا يقلل من سرعة جهاز التنظيف لا بسبب وجود كمية كبيرة من المادة المخاطية في المجاري فحسب بل لأن المادة المخاطية عنده تكون اكثر لزوجة من تلك التي لدى الاشخاص ذوي المجاري التنفسية السليمة .

فاذا كان الشخص الذي تكثر افرازات غدده المخاطية من مدمني التدخين ، كان ذلك سببا في شل حركة التنظيف في الجهاز التنفسي . وبالتدريج ينحصر الهواء في آلاف الجيوب الهوائية مخربا جدرانها . بيد انه لوجود الجيوب الهوائية الاحتياطية الكثيرة لا يشعر المرء خلال سنوات عديدة بصعوبة التنفس ، مع انه في الوقت نفسه يكون قد اجهز على القسم الاكبر من طاقة رئتيه . فأي تمرين يتطلب هواء احتياطيا يسبب له اجهادا شديدا ، ويصاب بانتفاخ رئوي لا يمكن رده الى الوضع الطبيعي ولا يمكن علاجه .

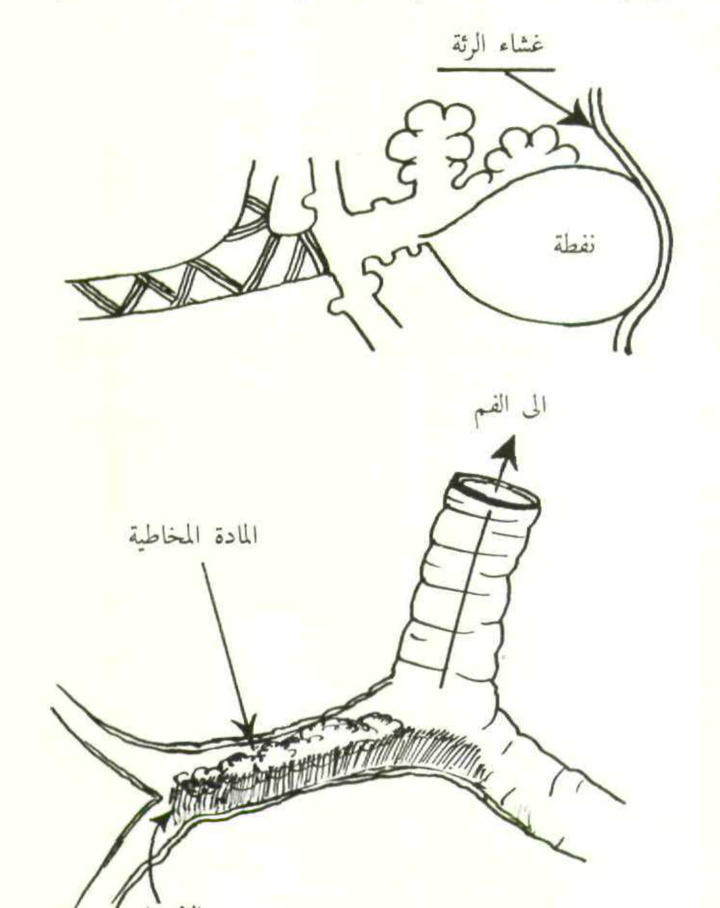
ولسوء الحظ ، عندما يستشار الطبيب تكون الحالة قد بلغت اشدها ، وعندئذ لا يسع الطبيب الا ان ينصح المريض بترك التدخين لايقاف تطور حالة المريض تدريجيا .

وهكذا نرى الدور الهام الذي يلعبه جهاز التنظيف الهدبي في وقاية اجزاء الرئتين . كما نرى الاضرار التي يسببها التدخين لهذا الجهاز . هذا ويقول احد الخبراء ان سيجارة واحدة في اليوم يتناولها احد المرضى ، كفيلة بأن تزيد في استفحال المرض . ويبنى الدليل على تأثير التدخين على المرضى من خلال مراقبة مجرى حياة جماعة كبيرة من المدخنين وغير المدخنين ، والمقارنة بين كلتا الفئتين من حيث الامراض التي تلحق بهم .

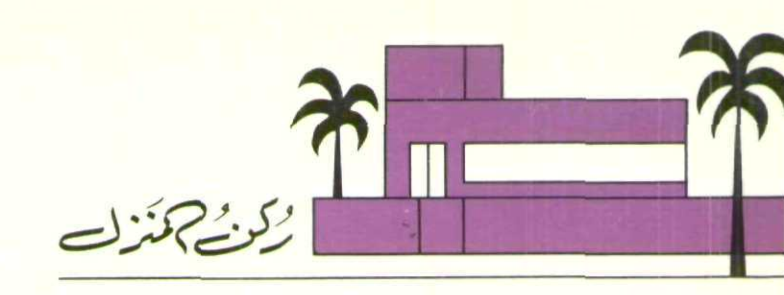
ومن خلال هذا الدليل العلمي الواضح يدرك اولو الالباب مبلغ الضرر الذي يلحقه التدخين بالانسان ولا سيما اثناء المرض .

عن مجلة «بوليتن»

اي عجز او تعطيل في جهاز تنظيف المجاري الهوائية يؤدي الى تمدد الهواء المحتجز في الجيوب الهوائية



الغبار والجراثيم التي تدخل الرئة ، تلتقطها الاهداب وتدفعها الى الحنجرة بحركة شبه لولبية . نفثة واحدة من الدخان كفيلة بشل حركة هذه الاهداب لعدة دقائق .



لماذا يخاف الولد من المدرسة؟

بقلم السيدة سميرة غطاس

مرحلة الذهاب الى المدرسة من ادق المراحل التي يمر فيها الولد في سنيه المبكرة . وهي بالنسبة اليه باب موصد ينفتح على دنيا جديدة ويعرفه على جو لم يسبق له ان عاش فيه او خبر مثله .

هناك ما يشبه الاجماع بين المعتنين بشؤون التربية والتعليم على ان السنة الخامسة هي انسب عمر لذهاب الولد الى المدرسة . وهو ، في هذه السن ، يكون معدا عقليا وجسديا للاقتباس والتطبع وتعلم النظام على افضل وجه . وبالمناسبة نذكر ما يقوله المختصون من ان الولد في سن الخامسة يكون في الغالب لين العريكة سهل القيادة . فلا عجب اذا رأينا ان هذه الحالة تتناسب مع السن الذي اختير لأن يقف فيه الولد على عتبة المدرسة ويلج منها الى العالم الذي يحوي كل جديد وطريف .

ان ذهاب الولد الى المدرسة عملية مزدوجة : فهي من جهة تعني اقتلاعه من وسط العائلة الضيق ، من احضان دافئة اعتادها لمدة خمس سنوات حيث كان مركز الاهتمام والانتباه ، ومن جهة اخرى تعني انصهاره في وسط المدرسة الجديد وتكيفه وتعرفه الى آفاق واسعة . في البيت يكون الولد اكثر انتماء واكثر التصاقا ، وبالنسبة اليه تكون هويته ابرز وأوضح . اما في المدرسة — في الفترة الاولى منها على الأقل — فانه يشعر بالضياع نوعا ما ، يشعر بأنه لا ينتمي ويفتقر الى العطف والحنان اللذين كانا يغدقان عليه بدون حساب .

كم يفرح الأهل عندما يرون طفلهم لأول مرة ، يرتدي «مريلة» المدرسة ويحمل كتبه او يعلقها في عنقه ويتوجه الى المدرسة ! ان هذا الحادث مبعث سرور وفرح للولد ايضا ، غير انه يشعر حتما ، في داخل نفسه ، بألم سببه هذا الابتعاد الاختياري — او القسري ، حسبما صوره عقله الباطن — عن والديه وعن البيت الذي تربى فيه . وهذه المرحلة من حياة الولد تحمل معها جدة واشباعا لحب الاستطلاع لديه ، الا انها تنطوي على مرارة وشعور بالانسلاخ ، وعلى ان ارساله الى المدرسة ما هو الا طريقة يلجأ اليها الأهل للتخلص منه ، وغير ذلك مما يوحيه اليه عقله الباطن ونفسه الطفلة الساذجة ...

لهذا كان من الواجب اعداد الولد لتلك المرحلة اعدادا كافيا وفهم نفسيته الفهم الصحيح لئلا يكره المدرسة ويخيب أمل والديه فتكون النتائج على عكس ما كانوا يتأملون .

شكت لي أم منذ أيام من أن ابنتها البالغة ست سنوات تكره الذهاب الى المدرسة ، تكره معلمتها تكره رفيقاتها وتكره السيارة التي تأخذها الى المدرسة .

هذه الطفلة وحيدة والديها ومن الطبيعي ان تعيش في جو يكتنفه العطف والحب والدلال من كل جانب . لقد ظنت ان المدرسة امتداد لهذا الجو أو ، على الأقل ، بديل عنه ، ولكنها ، ويا لخيبة الأمل ، لم تجد ما كانت تتأمله . كانت في البيت قبلة الانظار تعيش تحت جناحي والديها عيشة راضية آمنة ، فلا ظروف جديدة تتحداها ولا حالات تتطلب منها فردية في الرأي واستقلالا في التصرف .

وما دامت هذه الطفلة لا تشبع هواها في المدرسة فلا اقل من ان تضع اللوم على المعلمة ورفقائها وكل ما يتعلق بالمدرسة بصورة عامة .

قلت لمحدثتي : أواثقة انت من ان شكوى ابنتك لها مبرر ؟

اجابت : لا . لقد اخترنا لابنتي افضل مدرسة في المدينة . اما ما تحمله من كره لمعلمتها فذاك من غير سبب اذ ان معلمتها — وقد اجتمعت اليها عدة مرات — انسانة طيبة ذات صفات عالية قل ان ترى مثلها بين المعلمات . واما النواحي الاخرى التي تشكو منها فلا ادري ما الذي زينه لها عقلها بشأنها ، لا شك بأن هناك مشكلة خفية أو شيئا ما في المدرسة يضايقها ولا اعلم ما هو .

هنا سمحت لنفسي بأن ابين بعض الملاحظات لهذه الأم عن «المشكلة الخفية» التي تجعل ابنتها تخاف المدرسة . المشكلة ليست المدرسة ولا رفاق الصف ، المشكلة هي امها بالذات . المشكلة هي ذلك الرباط الخفي الذي يربط الابنة بوالدتها فأصبحت لا تقوى على التحرك الا

ضمن دائرة معينة وبقدر ما يسمح لها هذا الرباط .

كثيرا ما نرى اطفالا يشبهون هذه الابنة ويقفون من المدرسة موقفها بالذات لا لشيء الا لأنهم يرتبطون بالبيت الذي نشأوا فيه بأوثق الوشائج ولا يقوون على الخروج من تحت الجناح الدافىء — جناح الأم — الذي ظللهم طوال سنوات خمس أو ست . حتى اذا جاءت هذه المرحلة التي لا بد منها — مرحلة الذهاب الى المدرسة ومغادرة الأم والبيت — احسوا بقلق وخوف سرعان ما ينقلبان الى كراهية وبغض للمدرسة ولكل ما يحسبون انه كان السبب في ابعادهم عن البيت .

لقد خص الله المرأة بفيض من العاطفة تتجلى في الأم حيث تبلغ ذروة الروعة والتفاني . غير ان الأم الحكيمة هي التي تعرف القدر الذي ينبغي ان تظهره من تلك العاطفة نحو طفلها وتتحفظ باغداقها مدركة الحدود التي يجب ان تقف عندها . ولكننا نعلم ان المزيد من العطف والحنان والاهتمام يجعل الولد مدلعا وضعيفا واتكاليا . ان الولد الذي يتربى بهذه الطريقة سيكره المدرسة حتما ويكون بالتالي مشكلة لذويه .

وكثيرا ما ترى اطفالا من هذا النوع : يتربى الواحد منهم على يدي أم محبة اكثر مما يجب ، تغدق عليه من الحنان اكثر مما يجب ، وتعطيه من الحماية اكثر مما يجب ، ان تعثر على ارض البيت هرعت اليه صارخة وحملته بين يديها واذا جاءها يوما باكيا لأن طفل الجيران استعمل احدى ألعابه او لأنه جاع لدقيقتين راحت تذرف الدموع . لا تسمح له باللعب مع اطفال الجيران خوفا من ان تتسخ ثيابه او يتعرض للأمراض . وتبث حوله دائما عينا من الرقابة ساهرة . ان طفلا كهذا هو بحق «دلوع» امه كما يقولون ... ماذا ننتظر منه عندما يصل الى مرحلة الذهاب الى المدرسة وماذا نتوقع منه وهو لا يقدر ان يقف على رجليه امام ظروف بيئته الجديدة وتحدياتها ؟

لقد ذكرت قبل قليل ان الولد يجب اعداده لهذه المرحلة ، وبديهي ان أولى واجبات الأهل تجاه اولادهم هي تنمية روح الاستقلال والفردية فيهم بحيث يصمدون امام كل جديد دون ان تتقطع اوصالهم ويستسلمون منهزمين .

لندع أولادنا يقتلعون اشواكهم بايديهم — ما امكنهم ذلك — لندعهم يعتمدون على انفسهم وينمون شخصياتهم منفصلة عن شخصيات والديهم . تحضرني بالمناسبة قصة قصيرة قرأتها عن ولد وأبيه كانا يسيران في حديقة الدار فرأيا شرنقة صغيرة جذبت انتباه الولد فسأل اباه عما تكون هذه الشرنقة . قال انها تحتوي على يرقة ستشق شرنقتها بعد ايام وتخرج منها لتصبح فراشة . قال الولد اذن دعني اساعدها يا ابي في عملية التحول هذه وأشق غلافها . اجاب الأب : لا يا ابني ان نضال اليرقة في سبيل شق الغلاف يقويها ويكسبها مناعة وصلابة . اما اذا شققت غلافها الآن فانها تموت حالما تبصر النور .

وبعد كيف يتصرف الأهل عندما يخاف طفلهم من المدرسة ويكرهها ؟ عليهم ان يكونوا حازمين معه ، دون تعمد اهانته ، ويراعى في ذلك احترام شعوره وازالة الاسباب التي اخافته من المدرسة — اذا وجدت — حتى اذا كان هناك بالفعل ما يبرر خوفه يصار الى نقله من تلك المدرسة او الى غير ذلك . اما اذا كان كل شيء على ما يرام وظل الولد مصرا على عدم الذهاب الى المدرسة فينبغي الا يرضخ الأهل لمشيئته والا يسمحوا له بالبقاء في البيت كما يشتهي . وطبيعي ان يُفهِمَ الأهل المعلمة التي أوكلوا اليها امر العناية بطفلهم ، بالأمر لكي تستخدم هي بدورها اساليب التشويق والاثارة التي هي من اختصاصها وفي متناول يدها . ان معالجة المشكلة على هذا النحو كفيلة بأن تحلها في ظرف ايام معدودة . أما تأخير معالجتها وابقاء الولد في البيت بعض الوقت الى ظروف «اكثر مناسبة» او الى ان تهب رياح اكثر ملاءمة لسفينة الولد المبحرة نحو شاطىء المدرسة فذلك يوطد مخاوفه ويجعلها اكثر رسوخا وبالتالي يصبح اقتلاعها مستعصيا والنجاح في اعادته الى المدرسة اشد صعوبة .

كلمات

— سمعت امرأة تكيل المديح لصديقة لها مبدية اعجابها بسوار ذهبي على رسغها . قالت للصديقة : «حقا انه سوار جميل وجذاب . انه يجعلك تظهرين وكأن احدهم قد اظهر اهتماما بك في الآونة الأخيرة» ...

— قالت احدى نساء المجتمع الراقي للبرنس اوف ويلز : «اتمنى لو كان باستطاعتي ان اعمل ، ان اقوم بعمل ما . اود من كل قلبي ان اعمل في تزيين البيوت .»

فأجابها البرنس اوف ويلز على الفور : «تقصدين تزيين البيوت بالسكن فيها ، يا سيدتي ؟»

— ان جل ما يتمناه كل رجل من اعماق قلبه هو امرأة يمكن ان يسر اليها بكل شيء ، ويلجأ اليها في تعبه ، ويحمل اليها جميع عثراته وفشله وآماله المحطمة والمصابيح التي انطفأت على يديه ، والآمال التي تحولت الى رماد ، والينابيع التي غارت مياهها ، والأمور الدفينة الغامضة التي تنهشه وتذله (الفرد أدي) .

— يظل موقد النار خاليا من دفئه وروعته ما لم تجلس بقربه امرأة (ريتشارد جفريس) .

— عندما نعلم الرجل فاننا نعلم فردا واحدا وعندما نعلم امرأة فاننا نعلم اسرة بكاملها . (تشارلز ماك ايفز) .

كيف تعدين المغلي

المغلي نوع من الحلوى يقدم للاقارب والضيوف بمناسبة ولادة طفل في العائلة وفيما يلي طريقة اعداده :

المقادير :

- **١ ١/٤ كوب من الأرز المدقوق .**
- **٨ اكواب من الماء .**
- **٢ ١/٢ اكواب من السكر .**
- **١ ملعقة كبيرة من الكراوية .**
- **١ ملعقة كبيرة من اليانسون .**
- **١/٤ ملعقة صغيرة من الزنجبيل .**

طريقة الصنع :

دقي الارز في هاون صغير (او يمكن الحصول على الارز مدقوقا جاهزا في علب) . ثم دقي البهارات المذكورة كلا بمفرده . امزجي الارز بكوبين من الماء واضيفي السكر واليانسون والكراوية ، ثم اضيفي لها الأكواب الستة الباقية من الماء ، ويجب ان تكون على النار في حالة غليان . اضيفي الزنجبيل ثم اغلي الجميع وحركي السائل من وقت لآخر الى ان يصبح كثيفا بعض الشيء ويعلق على الملعقة . هنا اسكبي السائل الكثيف في اكواب شاي او صحون صغيرة : واضيفي فوقها اللوز المقشر والجوز والصنوبر والفستق الحلبي وجوز الهند . الكميات المذكورة اعلاه تكفي لخمسة عشر شخصا .



* قال احدهم في وصف الدنيا : دخلتها جاهلا ، وأقمت فيها حائرا ، واخرجت منها كارها .

* قال علي رضي الله عنه : انتهزوا الفرصة فانها تمر مر السحاب ، ولا تطلبوا اثرا بعد عين .

* كان خـــالد بن الوليـــد يسير في الصفوف يحض الناس على القتال ويقول : يا اهل الاسلام ، ان الصبر عز ، وان الفشل عجز ، وان مع الصبر النصر .

* قال بعض حكماء الهند : الحازم يحذر عدوه ، على كل حال ، يحذر المواثبة ان قرب ، والمعاودة ان بعد ، والكمين ان انكشف ، والاستطراد ان ولى ، والكرة ان فر .

* قيل لبعض الحكماء : ما افادك الدهر ؟ قال : العلم به . قيل : فما احمد الاشياء ؟ قال : ان تبقى للانسان احدوثة حسنة .

* سأل معاوية صعصعة بن صوحان : ما الجود ؟ قال : التبرع بالمال ، والعطية قبل السؤال .

* قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج في غير حينها ، ولا تطلبوها من غير اهلها فان الحوائج تطلب بالرجاء ، وتدرك بالقضاء .

* قال الشاعر :

اني رأيت وفي الايام تجربـــة
للصبر عاقبـــة محمـــودة الاثـــر
وقلّ من جـــد في امر يحاولـــه
واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

* سئل بزرجمهر : اي الاشياء خير للمرء ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فان لم يكن له عقل ؟ قال : فاخوان يسترون عليه . قال : فان لم يكن له اخوان ؟ قال : فمال يتحبب به الى الناس . قال : فان لم يكن له مال ؟ قال : فعي صامت . قال : فان لم يكن له ذلك ؟ قال : فموت مريح .

* قال عمر بن الخطاب : لكل شيء رأس ، ورأس المعروف بتعجيله .

* وقال عمر بن الخطاب ايضا : ما وجد احد في نفسه كبرا الا من مهانة يجدها في نفسه .

* قيل : لا تطعم طعامك من لا يشتهيه ، ولا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه .

* وقال اعرابي : وعد الكريم نقـــد وتعجيل ، ووعد اللئيم مطل وتعليل .

حاول ان تجيب

— ١ —

أ — من هو الاديب الذي نال جائزة نوبل لسنة ١٩٦١ ؟
ب — من هو الطبيب الذي نال جائزة نوبل لسنة ١٩٦١ ؟
ج — من هو العالم الفيزيائي الذي نال جائزة نوبل لسنة ١٩٦١ ؟

— ٢ —

أ — من اي الشعراء يعتبر الاخطل ؟
ب — من اي الشعراء يعتبر عمرو بن كلثوم ؟
ج — من اي الشعراء يعتبر راعي الابل النميري ؟

— ٣ —

أ — ما اسم اكبر بلد منتج للاسمنت ؟
ب — ما اسم اكبر بلد منتج للفحم الحجري ؟
ج — ما اسم اكبر بلد منتج للكروم ؟

— ٤ —

من هو قائل كل من هذه الابيات :

أ — ولا خير في حلم اذا لم تكن له — بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ب — وما يك في صديق او عدو — تخبرك العيون عن القلوب
ج — أنا من بدل بالكتب الصحابا — لم اجد لي وافيا الا الكتابـــا

(الاجوبة على الصفحة ٤٩)

حبٌّ .. وحرمان

للشاعر عبد الغني قسّي

على الربوة الفيحاء والسلسل الجـاري سكبت صبـابـاتي ودمعـي واسراري
وخلفـت قلبـي في دمشق وديعـة على امـل اللقيـا بـأجمـل سماري
فحسبي مـن الحـرمان كـأس مريرة بوجـدي واشواقي وحـيرة افكـاري
وحسبـي مـن الحب الكـآبة والضنا وازمـة نفس قطعـت – ثم – اوتاري
وبعثرت الآمال – وهي – كمـا – ارى – معازف كم غنت بألحـان اسحـاري
شربنا على اصدائهـا الكـأس لا نرى وجـودا كدنيانـا ، ونورا كأنـواري

* * *

وعشنا على الاحـلام نروي غليلنـا ونترع كـأسينـا صفـاء كـآذار
ونـرنو الى الافـق المضمـخ بالشذى ونـرقص بالنجـوى عـرائس اشعـاري
وفي مهجتينـا الحب ينساب كـالسنا وكـالحلم الـوسنـان في جفـن ازهار

* * *

لحـا الله ايـام الفـراق فقـد طوت مـن العمر فجـرا كـان لحنا بقيثاري
ومصت رحيق الوصل من كأس صبوتي فعز تلاقينا ... ولم اقـض اوطـاري

الصفحة الضاحكة



غاية الاطمئنان

الأول : اللي يظهر انك تحب حماتك كثيرا .
الثاني : وكيف عرفت ذلك ؟
الأول : لأنني رأيتك توصلها الى المحطة وتحمل لها حقائبها .
الثاني : أليس لي الحق في ان اطمئن على سفرها ؟

ذكاء

طلب صبي من امه قليلا من الفستق عندما دخلا متجرا . فقال صاحب الدكان : خذ ما تشاء هيا املأ يدك من الصندوق ، فرفض . فلم يسع الرجل الا ان يملأ يده من الفستق ويضعه في جيب الصبي . وبعد ان خرج سألته امه : لماذا لم تأخذ الفستق بنفسك ؟
فأجاب : لأن يده اكبر من يدي .

تقدم مثالي

الأول : ان شاء الله يوجد تقدم في دائرتكم !
الثاني : بكل تأكيد يوجد تقدم في السن .

استئناف الحكم

المحامي لموكله المحكوم : استأنفنا الدعوى وخفضنا الحكم عنك ، فهل تريد حبس اسبوعين او ٧٠ ريالا ؟
المحكوم : ٧٠ ريالا كثر الله خيركم .



علاج حاسم

ارسل رجل حماته للحمامات المعدنية للمعالجة . وبعد عشرة ايام كتبت له تقول : « لقد هبط وزني للنصف » . فأرسل لها هو بدوره يقول : « اذن فمن الافضل ان تبقي عشرة ايام اخرى » .

اسعاف

دخل استاذ الصحة الى غرفة الصف وبدأ يحاضر تلاميذه في طرق الاسعاف الاولي . ثم اراد ان يختبر مقدرتهم على تطبيق تلك المعلومات فتظاهر بالاغماء وهوى على الارض . فأخذ الطلاب ينظرون الى بعضهم البعض ويتهامسون دون ان يأتوا بحركة . اذ ذاك نهض الاستاذ معبراً عن خيبة امله فيهم ، فقالوا له : « لقد ظننا انه اغماء حقيقي » .

القطعة المفضلة

بعد ان عزفت الام بضع قطع موسيقية لتهدىء ابنها سألته : « والآن اية قطعة تريدها ؟ » فأجاب على الفور : « قطعة شكولاتة » .

عند المصور

دخلت سيدة الى ستوديو للتصوير وقالت للمصور : « اريد ان تصورني صورة حلوة جميلة » ، ثم اشارت بيدها نحو الحائط وقالت : « ولكن ليست كتلك الصورة القبيحة » . فقال لها المصور : « عفوا يا سيدتي ، تلك مرآة » .

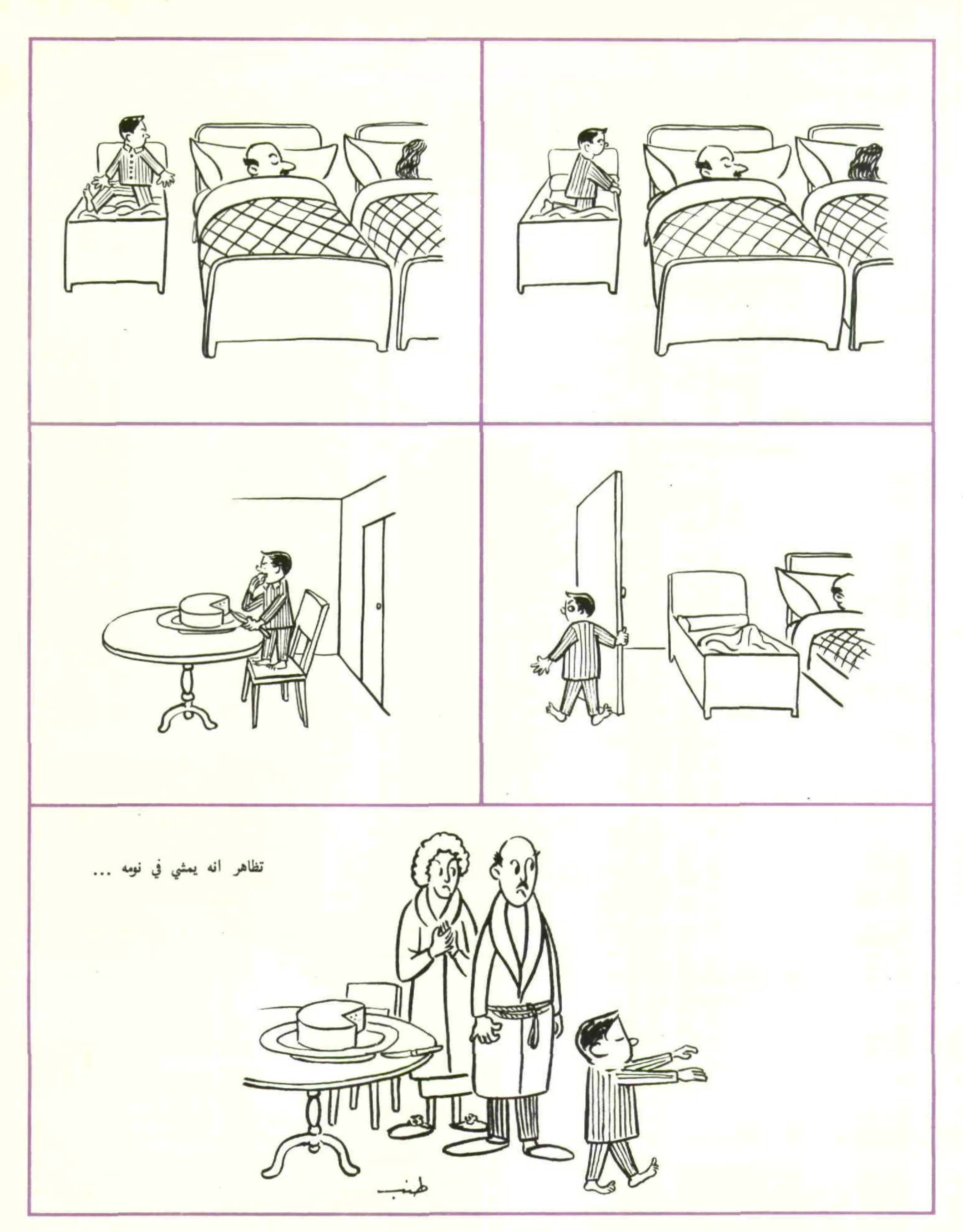
فحص الاسنان



انخرط طالب قروي لأول مرة في مدرسة داخلية ، وكان من عادته ان يرافق اباه الى سوق الحيوانات فيراه يفحص اسنان الحيوانات التي يريد ان يشتريها ، وعندما حضر طبيب الاسنان لفحص التلاميذ حسب عادته قال هذا الطالب : « يا دكتور لا تتعب نفسك عمري ١٤ سنة » .

كم أجرة الفستان؟

سألت تلميذة مساعدة امها في حل عملية حسابية اعطتها اياها المعلمة وهي : اذا كانت اجرة الفستان ريالين ونصف الريال ، فكم تكون اجرة ٧ فساتين ؟ » وبعد ان فكرت الأم مليا قالت : « هذا سؤال غلط لأن مثل هذه الاسعار مضى عهدها ! »


تظاهر انه يمشي في نومه ...

أجوبة حاول أن تجيب

— ١ —

أ — ايفو اندريك .
ب — جورج فون بكسي .
ج — روبرت هوفستادتر .

— ٢ —

أ — من الشعراء الامويين .
ب — من الشعراء الجاهليين .
ج — من الشعراء الامويين .

— ٣ —

أ — الولايات المتحدة الامريكية .
ب — الصين .
ج — جمهورية جنوب افريقيا .

— ٤ —

أ — النابغة الجعدي .
ب — زهير بن ابي سلمى .
ج — شوقي .

النخلة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها

(بقية المقال المنشور على الصفحة ٣٠)

وهناك طريقة مهمة اصبح من الواجب تطبيقها في مزارع النخيل هي زراعة مزروعات اخرى مثل الخضار والبرسيم تحت اشجار النخيل . ان المدخول الصافي من النخلة في منطقة القطيف مثلا . لا يتجاوز خمسة ريالات في السنة . فاذا علمنا بأن عدد اشجار النخيل في الفدان لا تتجاوز مائة وعشر اشجار ، وان معدل المساحة التي يملكها المزارع في المنطقة الشرقية لا تتجاوز احيانا ثلاثة افدنة ، وجدنا بأن دخل اكثر مزارعي النخيل من زراعتهم لا يتجاوز ١٦٥٠ ريالا في السنة . وهذا المبلغ يكاد لا يسد رمق المزارع ، بينما يزيد دخل مزارع البرسيم ، من المساحة نفسها على اربعة آلاف ريال . ويزيد دخله من الخضار على ثمانية آلاف ريال . وقد يصل الى اثني عشر ألفا احيانا . والطريق الوحيد الذي يجب ان يتبعه مزارع النخيل لتحسين دخله هو تخفيف عدد الاشجار بشكل يسمح بزراعة اشياء اخرى تحت اشجار النخيل . وهذه العملية تزيد دخل المزارع وتحسن اشجار النخيل الباقية وتزيد من انتاجها . والمثل الزراعي يقول «ابعد اختي عني وخذ ثمرها مني» .

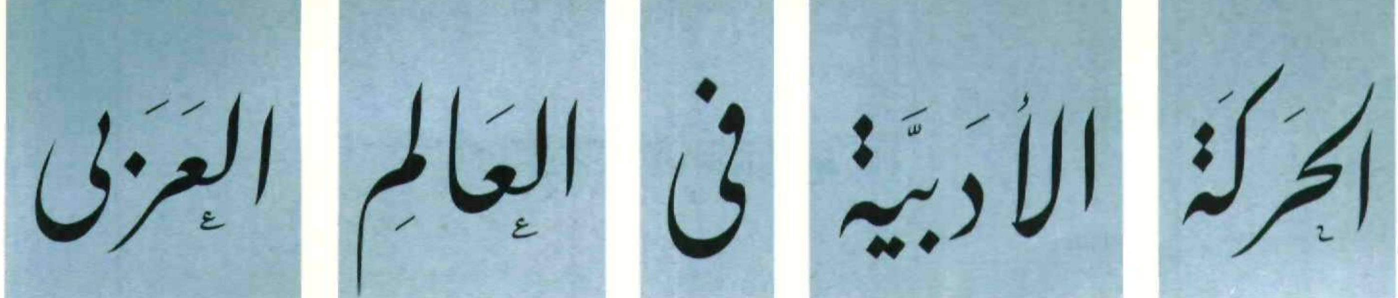
والمرحلة الثانية تتطلب تغييرا كاملا في طريقة القطاف والتهيئة للتخزين وفي عملية التخزين نفسها . ان هذه العمليات الثلاث لم يطرأ عليها اي تطور منذ القدم . فما زال التمر يترك على الشجرة دونما تغليف مما يجعله عرضة للغبار والحشرات والطيور . واثناء القطاف ، يتعرض التمر الى التلوث بالرمل لعدم وجود شيء مناسب تحت النخلة يحميه من الوقوع على الرمل . واذا ما قطف ، ترك على الارض حيث يبقى مدة تزيد على الاسبوع عرضة للغبار والرمـــل والذباب والحشرات . ثم يأتي وقت تعبئته فيداس بالأرجل حتى يرص فوق بعضه البعض ، وفي هذه العملية يصبح من الصعب فصل التمر عن بعضه بشكل سليم ، ثم يخزن في اماكن ابعد ما تكون عن متطلبات الصحة في وقتنا الحاضر .

ان هذه المرحلة من انتاج التمور تتطلب تغييرا شاملا ، بحيث تراعى النواحي الصحية في كل خطوة من خطوات هذه المرحلة حتى تعود الثقة الى النفوس ، ويقبل الناس على اكل التمر اقبالهم على غيره من الفواكه والحلويات . ولتحقيق ذلك يجب ان يغلف التمر اثناء وجوده على الشجرة حتى لا يصله الغبار والعصافير والحشرات ، كما يجب ان يجمع بطريقة تمنع التمر المتساقط من التلوث بالرمال وذلك بفرش الارض بنوع من القماش او الحصير بدلا من بضع سعفات لا تفي بالغرض كما هو الحال الآن . اما عملية التجفيف قبل التعبئة فيجب ان تتم في صناديق خشبية ذات غطاء زجاجي يسمح بدخول حرارة الشمس دون الغبار والذباب وغيرها من الحشرات . كما يجب ابطال عملية الدوس بالارجل في عملية التعبئة واستبدالها بآلة ضاغطة ، يمكن صنعها محليا ، ويمكن ان تعطي الضغط المطلوب بحيث يحافظ التمر على شكله .

ثم ان عملية التعريب والتعقيم والتنظيف والتعبئة يجب ان تتم بشكل يكفل وصول التمر الصالح النظيف والخالي من الرمل والحشرات الى يد المستهلك وهذه عملية يصعب على المزارع كفرد ان يقوم بها على الشكل الأكمل ، لذلك يترتب على القائمين على زراعة النخيل ان يتعاونوا فيما بينهم لايجاد مكان للتعبئة مجهز بكل ما يلزم من ادوات وآلات تتطلبها عملية التعبئة الصحية ، كالمعمل الحديث الذي تم انشاؤه في الاحساء منذ حوالي ثلاثة اعوام .

ثم ان هناك واقعا لا بد ان يؤخذ بعين الاعتبار في مثل هذه الحالة ، الا وهو التحول الذي طرأ على عادات الناس في مأكلهم ومشربهم . فمع اعتقادنا بأن اقامة معامـــل حديثة لتعبئة التمور سوف يساعد على توسيع مجالات التسويق ، الا اننا نقر بأن هذا التوسع لن يستوعب على الارجح جميع التمور التي تنتجها المملكة في الوقت الحاضر . لذا يجب علينا ان نتطلع الى طرق اخرى لتصريف ما يتبقى لدينا من تمور ، وبذلك نزيد في نسبة الطلب ونحافظ على سعر التمور بشكل يسمح للمزارع باعطاء النخلة ما تحتاجه من خدمة وعناية . ان كثيرا من منتجات الخضار والفواكه التي تزيد على حاجة البلد المنتج عادة تحول الى اشكال اخرى بشكل يجعل تصريفها اسهل ودخلها اكثر . ومثالا على ذلك ثمر المشمش في سوريا . فانه يباع بشكله الطازج وما يتبقى يحوّل الى منتجات منوّعة مثل قمر الدين او النقوع او السكاكر .. او يعلب بشكل مربى او كسائل سكري ويباع بأسعار تزيد على اسعاره طازجا . وهذه الطريقة يمكن ان تطبق عندنا على كميات التمور التي تزيد على حاجة الاستهلاك ، فتحول الى حلويات او معجونات كما يمكن توزيع كتيبات صغيرة توضع ضمن اكياس او علب او صناديق التمر لترشد الناس الى طرق استعمال التمر في البيت بطرق مختلفة ، وهي كثيرة ، ولكن قل من يعرفها عندنا الآن . وبالاضافة الى ذلك فانه بامكاننا استعمال التمر في صناعة الدبس والخل او في تركيب العلف .

ان عملية تصنيع التمور سوف يكون لها الاثر الكبير في احياء مزارع النخيل وتطويرها وانعاشها من جديد . بقي ان نهمس في اذن المخلصين والقائمين على امور الزراعة في هذا البلد العزيز ، بأن ما ذكرته يتطلب تزويد جميع المراحل المذكورة اعلاه بالارشاد ومد يد العون الفني والمعنوي والمادي .







* شهدت السنوات الأخيرة بزوغ دول جديدة لم تكن معروفة في الخارطات الجغرافية الحديثة بتخومها وأسمائها وأنظمتها حتى تعذر على الناس معرفة مواقعها وخصائصها . وقد اوحى ذلك الى العلامة اللبناني الكبير الاستاذ محمد جميل بيهم ان يضع كتابا في نحو ٤٠٠ صفحة عنوانه «عالم حر جديد في آسيا وافريقية والوطن العربي» يعرف فيه بهذه الدول الجديدة ، ويعين مواضعها وتخومها ، ويستقصي تاريخها وجغرافيتها . وكل ذلك بتدقيق شديد ورصانة علمية معهودة فيه ، وتوسع يدل على ترامي آفاق تفكيره .

* اصدر شاعر الملاحم الكبير الاستاذ بولس سلامة مطولة شعرية جديدة في نحو ٤٠٠ بيت عنوانها «عيد الستين» سكب فيها سيب عواطفه وتجاربه وآرائه في هذه السن العالية ، وتدفق في ابوابها تدفق الماء من العين السخية ، ولا غرو فهو من ارباب القريض ، وسادة الفكر ، وسدنة الضاد النابهين ، وأعلام البيان الفاقهين .

* في أكثر من ٦٠٠ صفحة ، صدر للأديب اللبناني الاستاذ سمير شيخاني كتاب طريف سماه «كتاب الأنس» جمع فيه نوادر وطرائف وفكاهات أدبية وتاريخية واجتماعية ، فاستطاع ان يحقق بكتابه هذا رسالة التثقيف ورسالة الامتاع والاطراف .

* اصدرت مجلة «العرفان» عددا خاصا مزدوجا اشتمل على كتاب ضخم جديد عنوانه «المغتربون» للاديب السوري الاستاذ عبد اللطيف اليونس . والكتاب ثمرة دراسة شخصية واتصالات وزيارات اجراها الاستاذ اليونس لاستيفاء هذا الموضوع المهجري الكبير . وللكتاب مقدمتان احداهما بقلم الاستاذ نزار الزين صاحب «العرفان» ، والأخرى بقلم الاديب المهجري الاستاذ نظير زيتون .

* يعد الشاعر المهجري الكبير الاستاذ جورج صيدح طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة من كتابه الضخم «أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية» ، يستوفي فيها ما فاته في الطبعتين الأولى والثانية .

* في نحو ألف صفحة صدر كتاب عن فنون البحر عنوانه «التخصص في الفن البحري» ، وهو من تأليف السيدين محمد وسيم غالي ومحمد كمال فريد ، ومراجعة السيد حسين رشدي احمد . كما صدر كتاب عنوانه «البحار والمحيطات» للدكتور انور عبد العليم .

* حقق العلامة الاستاذ محمد بهجة البيطار كتاب «أسرار العربية» من تأليف الامام ابي البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد الانباري ، وهو من نفائس كتب اللغة . وتتجلى آيات التحقيق في الهوامش المثقلة التي وردت على صفحات الكتاب ، وفي الفهارس الدقيقة التي ذيل بها .

* الجزء الثاني من كتاب «الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره» لمحمد سليم الجندي ، ظهر أخيرا عن المجمع العلمي العربي في دمشق ، باشراف الاستاذ عبد الهادي هاشم ، الذي علق على فصوله وشرح بعض مواده . وللكتاب جزء ثالث يجري الآن طبعه ، هو خاتمة هذا السفر الجليل .

* حقق الدكتور عزة حسن «كتاب الاضداد في كلام العرب» من تأليف أبي الطيب عبد الواحد ابن علي اللغوي الحلبي ، ثم أصدره في طباعة فاخرة في جزءين كبيرين يربو عدد صفحاتهما على ٩٠٠ صفحة ، بما في ذلك الفهارس الموسعة وقوائم المراجع . وقد صدر الكتاب في دمشق عن المجمع العلمي العربي .

* كتاب «الاشارات والتنبيهات» للفيلسوف ابن سينا ظهر في طبعة محققة جديدة ، بقلم الدكتور سليمان دنيا ، في اربعة أجزاء ضخام .

* «همسة ونسمة» عنوان الديوان الجديد للشاعر الدكتور حسين مجيب المصري .

* صدرت طبعة جديدة من كتاب «ليالي سطيح» للشاعر الراحل محمد حافظ ابراهيم ، وقد قدم لها الاستاذ عبد الرحمن صدقي .

* ترجمت الاديبة عفاف محمد فؤاد كتابا عن جون جولد عنوانه «هل سيولد طفلي سويا ؟» يمثل قلق الأم قبل الوضع ، وأساليب القضاء على هذا القلق . راجع الكتاب وقدم له الدكتور محمد كامل النحاس .

* الكاتب الليبي الاستاذ خليفة المنتصر يطبع كتابا ضخما عن تاريخ ليبيا المعاصر يقع في ثلاثة أجزاء عنوانه «ليبيا قبل المحنة وبعدها» .

* في سلسلة «أعلام العرب» صدر كتاب عن «حسان ابن ثابت شاعر الرسول» بقلم الدكتور سيد حنفي حسنين .

* في اربعة أجزاء ، صدر للأديب الراحل محمد سعيد العريان كتاب «رحلات سندباد» وفيه قصص تربوية ممتعة للأطفال والصبيان والبنات .

* «كتاب الابدال» للعلامة أبي الطيب عبد الواحد ابن علي اللغوي الحلبي ، ظهر مشروحا محققا مكملا مفهرسا في جزءين كبيرين بقلم العلامة الكبير الاستاذ عز الدين التنوخي . وقد صدر هذا الأثر النفيس عن المجمع العلمي العربي في دمشق .

* مجموعتان من الأقاصيص صدرتا أخيرا ، في طبعتين جديدتين ، لاثنين من رواد القصة العربية ، عنوان الأولى «درس مؤلم» من تأليف شحاتة عبيد ، وعنوان الثانية «احسان هانم» وهي بقلم شقيقه عيسى عبيد . وقدم للمجموعتين الاستاذ عباس خضر .

* في باب التربية صدر كتاب «فن قيادة الشباب» تأليف دورثي روبرتس ، وترجمة الاستاذ اسماعيل صفوة ، ومراجعة السيدة احسان العابد ، وكتاب «فقد البصر قدرة لا عجز» تأليف ماكسين وود ، وترجمة الدكتور فاروق احمد حسني ، ومراجعة الدكتور محمد كامل النحاس .

* اشترك طائفة من الباحثين الامريكيين في اعداد كتاب عنوانه «أحاديث عن القانون الامريكي» باشراف هرولد ج. برمان . وقد صدرت طبعة عربية لهذا الكتاب اشترك في ترجمتها الدكتوران محمد فتح الله الخطيب ومصطفى احمد فهمي ، وقدم لها الأستاذ حسن جلال العروسي .

* صدرت للأديب السوري الراحل زهير مرزا طبعة جديدة كبيرة من كتابه «ايليا ابو ماضي ، شاعر المهجر الأكبر» ، فيها تعريف بالشاعر ، وتضم نصوص دواوينه . كما صدر للأديب الليبي الاستاذ جعفر الطيار كتاب آخر عن ابي ماضي .

* «الأنهار العظيمة في العالم» كتاب مصور مبسط بقلم آن تيري هوايت ، صدرت ترجمته بقلم الاستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم ، وبمراجعة الدكتور محمد صابر سليم .

* ظهر للمربي الجليل الاستاذ محمد عطية الابراشي كتاب كبير عنوانه «روح الاسلام» .

* في سلسلة «كتب ثقافية» صدر كتابان من تعريب الاستاذ ميشيل تقلا هما «من روائع الادب الافريقي» و «قصة حياة طاغور» .

* «ابو العلاء ناقد المجتمع» عنوان لدراسة ادبية ممتعة توفر على وضعها الدكتور الباحث الشاعر زكي المحاسني وأخرجته دار المعارف اللبنانية في سلسلة مكتبة الأبحاث الادبية . والكتاب يعرض علينا ما كان من امر ابي العلاء مع ناقديه ومنقوديه .



رصيف الشمالي لفرضة رأس تنورة ، وتبدو معدات
وسعة الرصيف باضافة مائة قدم الى طرفه الجنوبي.

تصوير موني